معامرات
أرسين لوبين



القسم الأول

بقعة الدم

— ١ —

رافق كبير خدم نادى (بوك) الدكتور بونار إلى المنضدة التى اعتاد الجلوس إليها كلما تردد على قاعة طعام النادى .

وأخذ بونار مجلسه أمام المنضدة .. فقدم له كبير الخدم قائمة طعام الغذاء وقال بلهجة تنم عن الاحترام :

— إن طقس فترة عيد الميلاد هذا بديع ياسيدى .. أى ألوان الطعام تريد اليوم ؟

وسكت جوستاف فجأة ، فقد لاحظ أن بونار فى هذا اليوم على غير عادته ضيق الصدر بادى الوجوم .. بينما انصرف بونار إلى تأمل القائمة فى ملل شأنه شأن من فقد الشهية ورغب عن الطعام .

وحار جوستاف فى أمره . فقال بصوت خافت :

— أرجو أن لا يكون قد حدث شىء عكر صفوك ياسيدى ؟

— كلا ياجوستاف .. إنه الطقس الذى يضجرني .

فألقى كبير الخدم بصره من النافذة ..

كانت الشمس مشرقة . والسماء صافية . والهواء عليلا . وكل شىء فى الوجود يبشر بعيد سعيد معتدل الطقس .

وعجب جوستاف لتبرمه . ولكنه كان رجلا لبقا مهذبا . فلزم الصمت .

وظل بونار ينظر إلى القائمة ببصر شارد .. ثم قطب حاجبيه ، وتنهد من أعماق صدره . وألقى بالقائمة فوق المائدة . وانبعث على قدميه .

وقال : لقد عدلت عن رأيي ياجوستاف .. ولن أتناول طعام الغذاء اليوم .. خذ هذه .

وأخرج حافظة نقوده .. وتناول منها ورقة مالية قدمها لكبير الخدم وهو يقول : اشتر لزوجك هدية عيد الميلاد ، وبلغها تحياتى .

وانصرف إلى الخارج على عجل . كأنما كان يرجو أن يتجنب لقاء أحد من أصدقائه أعضاء النادى . بينما أخذ جوستاف يعرب عن شكره للمقعد الشاغر .

وما كاد بونار يغادر غرفة الطعام حتى سمع صوتا رقيقا يقول صاحبه :

— أهذا أنت يا دكتور بونار ؟ أن الطقس اليوم جميل .. أليس كذلك ؟ يا إلهي مالى أراك واجماً مهموما ؟ ليخيل إلي أنك عائد من جنازة !!

فابتسم بونار ابتسامة باهتة .. وأجاب :

— لا يا أرمستر ونج .. إننى برم بالاسراف فى المرح والبهجة !! ارجو المعذرة . فانى على موعد هام .

ثم اندفع إلى الخارج ، غير عابىء بنظرة الحيرة التى شيعه بها صديقه ..

وبعد لحظات كان بونار ينفح عامل غرفة الملابس مبلغا طيبا جعل لسان الرجل يلهج بالثناء والدعاء .

وإذ بلغ ديل باب النادى الخارجى . رأى الطرقات شديدة الحركة

مزدحمة بالناس والجميع يقومون بمعدات العيد ، وهدايا العيد . وعن

وجوههم آيات البشر والسرور .

ووقع بصره على امرأة أنيقة الهندام ، فى نهاية الحلقة الرابعة من عمرها ، ولكنها جذابة التقاطيع . عليها مسحة من جمال يوشك عن الأفول تعبر الطريق ، وتتقدم نحو سيارة كبيرة فى انتظارها .

والتقت عينا المرأة بعينيه ، فهتفت مشدوهة : بونار ؟ !

— مادلين ؟ !

ووقفا وجها لوجه يتبادلان النظر ، وخانهما النطق ، فلزما الصمت

وفى خلال فترة الصمت ، استطاع بونار أن يلاحظ على المرأة أمر أحدهما تافه عديم القيمة ، وأما الآخر فكان يهمه إلى حد بعيد .

ذلك أنه لاحظ أن ثياب مادلين كانت جميلة الرونق ، ولكنها لا على سلامة الذوق ، وشدما أدهشه أن رأى بطاقة الثمن تتدلى من وشاح

وعندئذ تساءل : أكان هذا شأن مادلين يوم عرفها ، ولكن حب فى وقت ما أعماه عن رؤية أوجه النقص فيها ؟ !

ولم تخف عليه نظرة الحزن والاكتئاب التى كانت تشع من عين برغم الابتسامة المغتصبة التى حاولت المرأة أن تخفى بها آثار الهم والت تحز الألم فى فؤاده ، وراعه ماطرأ عليها من تغير وانقلاب .

بدأته بقولها : لاشك أن الطقس المعتدل قد أغراك على الخرو

هل كنت تبتاع حاجيات العيد يابونار ؟

فأجاب بصراحة . كلا . . كنت افكر فى الذهاب إلى أحد الم

لتناول وجبة الغداء ، فانى أكاد أموت جوعا

وأردف فى لهجة رقيقة : اصغى إلي يامادلين ، مارأيك فى أن تشاطريني الطعام ؟ لاريب أنك لاتمانعين .

فحاولت الاعتراض ، ولكنه تأبط ذراعها ، وعاونها على الصعود إلى السيارة ، وصعد على أثرها بعد أن أعطى السائق اسم أحد المطاعم المشهورة .

ونظرت مادلين إلى بونار متأملة ، ثم قالت :

— انك لم تتغير يابونار فانك لاتزال كما كنت ، عنيدا ، سريع الخاطر . لماذا دعوتنى إلى تناول طعام الغداء معك ؟

— لأن البؤساء أقرب إلى التحابب والتآلف .

— هل هذا هو السبب الوحيد للدعوة ؟

فتردد بونار هنيهة ، ومالبث أن أجاب :

— نعم ، ليس ثمة غير ذلك . .

فسألته باصرار : ومالذى حملك على الاعتقاد بأنى شقية ؟

فابتسم ابتسامة رقيقة ، ولم يجب .

فاستطردت : لطالما شعرت من قبل ان فى مقدورك التغلغل إلى اعماق وقراءة افكارى ، وهأنذا اراك لاتزال تتمتع بهذه الموهبة المدهشة يابونار .

قال بعد هنيهة : كم مضى عليك فى هذه المدينة ؟

— عام ونصف .. من عجب اننا لم نلتق قبل الآن ، لكن لماذا

العجب ونحن نعيش فى اكبر مدينة فى فرنسا ! صحيح انى سمعت عن
كثيرا ، ولكم تساءلت . .

وتهدج صوتها ، فأمسكت عن الكلام ، وكانت السيارة قد وص
فى تلك الأثناء إلى المطعم ، فهبطا منها ، ونفذا اليه حيث أخذا مجلس
حول مائدة فى ركن منعزل .

وما كاد الخادم يضع الطعام امامهما . حتى اقبل بونار عليه
ادهشه وهو الذى رفض ان يتناول شيئا فى النادى منذ ساعة ونص
راحا يتحدثان فى شتى الموضوعات ، وهو لايفتأ يديم النظر
وجهها مدققا متأملا ، فلما فرغا من تناول الطعام ، وشرعا يحتس
القهوة قال :

ـ يامادلين .. اريد ان تحدثيني بمتاعبك . ليس ثمة شك فى ا
يكدر صفو حياتك ، فهيا صارحيني بالحقيقة فقد استطيع ان امد
يد المعونة فى محنتك .

فأطرقت برأسها هنيهة ، ولكنها مالبثت ان رفعت راسها فاذا
مخضلتين بالدموع .. ثم قالت :

ـ لقد تعودت على مصارحتك بكل اسرارى يابونار فليس
مايدعونى إلى حبس هذا السر عنك صحيح . انى فى موقف حرج
خطير كل الخطورة ، ولكن لاعذر لى فى ذلك فانى وحدى الم
عما انزلقنا اليه .

فقال برفق : حدثيني بكل شيء .

فارتعشت شفتاها ، وظلت تديم النظر الى وجهه هنيهة . ثم قالت
صوت خافت : ان المسألة تتعلق بزوجي .

فأومأ برأسه .

لم يدهشه ان يعلم انها تزوجت ، فقد كان ذلك هو المنتظر .

قال مشجعا : استمرى .

فتنهدت ، وقالت باضطراب :

ـ كنت مبذرة يابونار ، بل شديدة التبذير ، ولكنى لم ادرك إلا
ينا كيف كنت حمقاء . كان زوجي يؤدى عملا ناجحا فى الشمال . .
انى اخذت احثه على الانتقال إلى باريس . كنت ارجو ان يوفق
زيادة دخله ليتسنى لى ان ارتع فى بحبوحة اليسر والنعمة ، وقد تردد
نحى بادىء الأمر ، ولكنى استطعت ان اقنعه بوجاهة رأيى ، وانتقلنا
باريس ، فأصاب زوجي نجاحا لابأس به ، وكان من المحتمل ان نكون
م سعداء متنعمين لولا حماقتى واسرافى . كنت اظن ان مركزى
وجة جون يحتم على ان اقتنى فخر الملابس والجواهر .. انها قصة
لة يابونار وخشى ان اطلعك على النتيجة لتدرك ماجره علينا الاسراف
ى الظهور .

واغرورقت عينا المرأة بالدموع ، فقال بونار بلهجة رقيقة :
دعينا من التفاصيل المؤلمة وحدثيني بخلاصة القصة ، لقد ارتكب
ك شيئا كان ينبغي ألا يقدم عليه ، لعله استغل نقودا لم يكن من
ان يستغلها .

فاجفلت مادلين ، ولـكنها مالبثت أن تنهدت بارتياح ، وقالت :

ـ شد مايسرنى أن تظهر الحقيقة لأول مرة .. كنت أشعر أنى سأجن إذا لم تتهيأ لى فرصة التحدث إلى شخص يستطيع أن يقدر الموقف حق قدره .

فسألها فجأة : هل تحبين زوجك يامادلين ؟

فأومأت برأسها فى حركة خفيفة ولـكنها تدل على التوكيد ، وعندئذ نظر بونار إلى وجهها باهتمام ، وقال :

ـ دعينى أخبرك يامادلين .. إذا كنت حقا تحبينه فلا ريب أنك على استعداد للاقدام على أية تضحية من أجله ، ينبغى أن تضحى بكبريائك وتسمحى لي بمساعدتك ، ان الجميع يعتقدون اننى ثرى ، وقد يكون هذا الاعتقاد على شىء من الصحة ، فقد حالفنى الحظ فانهالت على الأرباح من كل جانب وتدفق المال إلى جيوبى كالسيل المنهمر ، هل لك فى قبول هدية عيد ميلاد متواضعة ؟

فانتفضت المرأة ، وانهمرت الدموع من عينيها ، وقالت : أنك رجل كريم يابونار ، لست أستحق . .

فقاطعها بحدة : أوه ! هذا لغو !

وأخرج دفتر الشيكات من جيب سترته الداخلى ، وأردف :

ـ لو نال كل شخص مايستحق لنزل كثيرون ممن يتمتعون الآن بالحرية المطلقة ضيوفا على السجون . كم تريدين يامادلين ؟

فرفعت يدها معترضة ، وهتف :

ـ لاأستطيع يابونار ، ثم أنه لافائدة من ذلك الآن ، فلن يصلح المال مافسد ، وليس فى استطاعة انسان أن يصنع شيئاً من شأنه أن يعيد الأمور إلى نصابها ، اننى شديدة الأسى لماوقع خصوصا كما فكرت فى أن زوجى انما أقدم على فعلته المنكرة من أجلى ، وكم أود . .

ـ أصغى إلى يامادلين ، انك تثقين بى ، أليس كذلك ؟ اذن لاترفضى مساعدتي ، اننى أعنى أن أشعر بما يشعر به الناس حين يمدون أيديهم إلى مأزوم فى هذه الفترة من السنة ، لاريب أنه سيكون احساسا جديدا على ، فضلا عن اننى تواق إلى معرفة لون المتاعب التى لايستطيع المال اصلاحه .

ـ انك طيب القلب يابونار . ولـكن .

وغضت من بصرها .. فتألق الحجر الماسي المركب فوق الخاتم الذى كانت تزين به أصبعها . وخطف بريقه بصرها فصاحت بمرارة :

ـ انى اكرهه (وأشارت إلى دبوس ثمين كان يزين صدرها) كما أكره هذا أيضاً وثيابى وفرائى . انى امقتها جميعاً من كل قلبى . . كم ازدرى نفسي كما تذكرت ان زوجى جان أقدم على السرقة لـكى يبتاع لى هذه الأشياء ، كان ينبغى أن ابيعها منذ زمن بعيد . ولـكن جان رفض ذلك واصر على الرفض قائلا انه من الحكمة ان نستبقيها الى وقت الحرب .

ورفعت رأسها فى تلك اللحظة . وشد ماريع بونار أن رأى الانقلاب الذى طرأ على سحنتها . فقد امتقع وجهها ، وقلبت شفتها ازدراء . .

وتألقت عيناها ببريق الغضب والحقد .

وعجب بونار لهذا الانقلاب المفاجيء . وحول بصره إلى النا التي كانت تنظر اليها فرأى رجلا لم ترتح نفسه الى مرآه منذ الن الأولى يدخل إلى المطعم .

وأدرك بونار ان ظهور هذا الرجل هو سبب هذا الانق الذي طرأ على وجه مادلين فجأة .

— ٢ —

كان القادم قصير القامة ، بدين ، تلوح على شفتيه ابتسامة تدل الخبث والدهاء .. ويشع من عينيه بريق الاعتداد بالنفس . كما تنم وجهه عن حب السيطرة والتسلط .

سأل بونار مادلين : من هذا التعس الذي ترمقينه بتلك النظ القاتلة ؟ فقالت بصوت متهدج من السخرية :

— هو مستر بيسلي . شريك جان في السمسرة . انه الشي بعينه يابونار . بل لعل الشيطان لا يضارعه لؤما وخبثا .

لاعجب في ذلك فسيماه على وجهه . لقد خطر لي ان وجهه هدفا لقبضتي عندما وقع بصري عليه لأول وهلة . فلو شئت فا استعداد لأن انشط ذراعي من الآن واللحظة .

— كلا .. لا تفعل بالله عليك .. لقد خشي بيسلي ان يقد على قتله . فأعد العدة لكل شيء . فلو فرض ومات ميتة غير ط فسيلتقي المسئولون أدلة مادية تثبت تلاعب جان في الشركة .

— آه ! حدثيني بالبقية .. ولا تنسى أن بعض الأدلة التي قد تبدو ك تافهة ربما افادتني كثيرا في الوصول الى الحقيقة .

فألقت عليه نظرة تطفح بالشكر .. ثم قالت :

— اقتصد جان مبلغا كبيرا من المال عندما جاء الى هذه المدينة لما ادرك بيسلي ان زوجي رجل موفق في عمله ، اخذ يقنعه بقوله ريكا له في مشروعاته . ولم يمانع جان . وسارت الأمور على احسن ال ردحا من الزمن برغم ان جان لم يكن يرتاح كثيرا الى شريكه كان زوجي يصرف جل وقته في العمل .. بل كثيرا ما كان يقضي الليل ه وهو يضع الخطط التي تزيد في دخله ، وتهيء لنا حياة سعيدة ناعمة . خلال ذلك كنت انزلق الى الهاوية . اذ رحت اطالب جان بالمزيد المال ، فكان يجيني ما أشاء دون معارضة او تردد . أواه ! كم ت حمقاء قصيرة النظر .. ولكني لم ادرك شيئا من ذلك في الوقت سب .. بل انني لم الاحظ كيف اخذت صحة جان في التدهور ، حب وجهه وانتابه الهزال .. الى ان كانت ليلة قال لي انه يريد ان وحي بأمر هام فلما سألته ان يفصح ، قال انه يرى ان يطلعني الحقيقة ما دام قد اصبح من المحتمل جدا ان تنكشف للملأ إن لا أو آجلا .. ومضى يحدثني بقوله انه ضارب كثيرا في البورصة كنه خسر فاضطر الى .. .

فقاطعها بونار بشيء من الكآبة :

— لندع هذا القسم من القصة جانبا . انها قصة قديمة معروفة للجميع .

لقد خسر زوجك فاضطر الى الاستيلاء على بعض اموال الشركة ..
ولا ريب ان بيسلي اكتشف السرقة .. لكن ماذا حدث بعد ذلك ؟
ـ وعده جان بالاستقامة ، وتعويض ما استولي عليه ، ولكنه رفض أن يصغى اليه ، وقال انه يرى ان يضع حدا للامر دون ابطاء ، وخير جون بين الفضيحة العاجلة او التوقيع على اعتراف صريح بالسرقة . ولم يمهله حتى يفكر فى الأمر . وانما اصر على ان يبت فيه فى التو فلم يجد جان بدا من قبول كتابة الاعتراف ليكفينى مؤونة المذلة والهوان وأملى عليه بيسلي الاعتراف . ثم طالبه بالتوقيع . فوقع .
ـ ولكن ما الذى رمى اليه بيسلي من ذلك ؟
ـ هذا ما بدأ جان يعجب له على أثر توقيعه على وثيقة الاعتراف وظل كذلك شديد العجب حتى ليلة امس .. حيث عرض عليه بيسلي مشروعا غير شريف لأستغلال بعض الأسهم والسندات .. انى لم افهم طبيعة هذا المشروع ، ولكنى علمت من جان ان بيسلي كان يبحث منذ زمن طويل عن شخص يقبل المساهمة معه فى هذا المشروع .
فأومأ بونار برأسه . وقال :
ـ أظن انى فهمت السر يامادلين .. الرأى عندى ان بيسلي وضع مشروعا للحصول على مبالغ كبيرة من المال .. ولكنه خشي ان ينفذه باسمه فيؤخذ بجريرة احتياله .. ولذا استقر رأيه على العمل من وراء الستار والحصول على المال الذى سيدره هذا المشروع .. فاذا اقتضى الأمر فى النهاية ذهاب شخص الى السجن ، فليكن جان هذا الشخص

ظلت مادلين تحدق فى وجه بونار مشدوهة ، وقد ارتسمت على وجهها علامات الألم الشديد .
ثم غمغمت : انى وحدى الحقيقة باللوم .. ماذا أستطيع أن أصنع يا بونار ؟ يجب ان افعل شيئا من اجل جان .. بل انى على استعداد للتضحية بحياتي لانقاذه من الورطة التي أوقعته فيها بطيش ونزق .
فأطال بونار النظر الى وجهها متأملا .. وقال :
ـ لاريب عندى انك على استعداد للتضحية يامادلين . لكن حاولى الا تنظرى الى الموقف بمنظار أسود .. اننا نتعلم من اخطائنا ويوم تنقشع الغمة عن جان سوف يجد فيك خير الرفيق .
فسألته بلهفة : إذن فأنت تعتقد انه فى الأمكان أن تصنع شيئا ؟
ـ لكل زلة سبيل للاصلاح .. ولست أرى ما يجعلنا نفقد الأمل فى حالتنا الراهنة .. لقد أحسن جان صنعا بتوقيع الأعتراف .. لأن ذلك أجدى عليه من الذهاب الى السجن .. وأكبر ظنى ان بيسلي سيتخذ من الاعتراف سلاحا يشهره فى وجه زوجك ليرغمه على الانضمام اليه فى مشروعه الجديد ، فاذا امتنع أو رفض فسيكون السجن مصيره .
ـ وماذا تقترح للخروج من هذا المأزق يا بونار ؟
ـ ان قليلا من الرياء والحذق كفيل بنجاة زوجك .. فينبغى ان يتظاهر فى الوقت الحاضر بأنه يحبذ مشروع بيسلي .. وفى تلك الأثناء . .
وكف بونار عن الكلام فجأة وتألقت عيناه ببريق خاطف ..

ثم استطرد بعد هنيهة :

ـ أظن انه خطر لك يا مادلين ان خير الوسائل لاقالة جان من عثرته هى الحصول على الاعتراف الموقع عليه منه والموجود فى حوزة يسلى ؟

ـ بالطبع فكرت فى ذلك .. كما فكر فيه جان أيضا ولكن دون الحصول على هذا الاعتراف عقبات لا يمكن تذليلها بسهولة .. فلا احد غير يسلى نفسه يعرف أين توجد وثيقة الاعتراف ويقول جان انه واثق انها غير موجودة فى خزانة ادارة الشركة .

ـ هذا مؤكد . إذ من المستحيل ان يكون يسلى من السذاجة بحيث يضع الوثيقة فى خزانة الشركة لتكون فى متناول زوجك .. ثم ان هذه الوثيقة ستجلب له ألوف الجنيهات . فهو إما ان يحتفظ بها فى منزله أو فى احدى خزائن الأمانات .. مهما يكن من شان .. يجب ان نحصل على هذه الوثيقة يامادلين .

ـ لكن كيف السبيل الى ذلك ؟

فأطرق بونار متفكراً . وما لبث ان خطرت له فكرة جعلته يبتسم ابتسامة عريضة ثم قال : دعى ذلك لى . ان لى صديقا أخذ على عاتقه الانتقام من الظالمين المعتدين . ولا ريب عندى أنه سيرحب بقضيتك ويعمل جهده ليثأر لك من يسلى .

ـ وهل يقبل صديقك الاهتمام بمسألة تافهة كهذه ؟

ـ بل انى واثق من ذلك . فهو رجل طيب القلب لا يتوانى عن الأخذ بيد الضعفاء والمأزومين . دعى المسألة لى يامادلين . انا اليوم

فى الثالث والعشرين من الشهر . فاذا سارت الأمور على ما أشتهى فقد استطيع أن أقدم لك هدية عيد ميلاد مدهشة فى غضون يومين .

ونظر بونار إلى ساعته ، ثم قال :

ـ أرى أن اعجل بالانصراف كيما أستطيع الاتصال بصديقى .

فنهضت مادلين وهى تقول : ومن يكون صديقك هذا ؟

فابتسم بونار ولم يحر جوابا .

وغادر المطعم ، فاستقلت مادلين سيارتها . وظل بونار يرقبها حتى اختفت عن عينيه .. ثم ضحك ضحكة رقيقة ، وتقدم من مدخل أحد المنازل المواجهة للمطعم فاختفى داخله فى انتظار خروج يسلى .

وهكذا دبت الحياة فى «أرسين لوبين» لأول مرة فى فترة عيد الميلاد .

ـ ٣ ـ

لم يطل انتظار بونار ، إذ سرعان ما غادر يسلى المطعم ، واستقل سيارته ثم أصدر للسائق أمراً ، فتحركت السيارة ، وانطلقت يبطء لشدة ازدحام الطرقات فلم يجد بونار صعوبة فى تعقبها سيرا على قدميه .

ووقفت السيارة أخيراً أمام حانوت مجوهرات كبير . فتقدم بونار من واجهة الحانوت وتظاهر بمشاهدة المعروضات النفيسة ، بينما هبط يسلى من سيارته ونفذ إلى داخل الحانوت .

وتمهل بونار دقيقة أو اثنتين . ثم دخل إلى الحانوت ، وسار فى أحد اجنحته وهو يتظاهر بالتفرج على الجواهر . ولكنه كان فى الحقيقة يراقب يسلى من طرف خفى .

وبعد هنيهة كان بونار قد اقترب من المكان الذى وقف أمامه بيسلى
وراح يراقب حركات الرجل وسكناته .

كان أحد البائعين يعرض على بيسلي عقداً من الماس الثمين . و
يتمالك بونار من الاعجاب به فيما بينه وبين نفسه ، وهو الأخصائى
الجواهر .. وطالما رأت عيناه من الجواهر النادرة ما يسيل له اللعا
وتطيش الألباب .

قال البائع لبيسلى : لقد وصلنا هذا العقد من فرع لندن فى الأسبو
الماضي فقط . وأؤكد لك أنه صفقة نادرة يا سيدى .

والتقط بيسلى العقد ، وراح يتأمله باعجاب وافتتان . ثم أعر
عن عدم موافقته على السعر . ولكنه أخرج فى النهاية حافظة نقوده
جيبه وأخذ منها عدة أوراق مالية ذات فئة كبيرة ، وإن هى إلا دقا
معدودات حتى كان يغادر الحانوت والعقد فى جيبه .

وتبعه بونار على مسافة معقولة . وتساءل عمن يعتزم السـ
إهداءه هذا العقد . فقد كان هيئة الرجل ، والقصة التى من ماد
يوحيان بأنه ليس ممن ينفقون نقودهم فى شراء هدايا عيد المي
أو ما شابهها .

وعندما بلغ بونار باب الحانوت سمع صوتا يقول صاحبه :

ـــ أهذا أنت يا بونار ؟

فتوقف عن السير واستدار على عقبيه ، وما لبث أن ق
حاجبيه . وتجلت على وجهه إمارات الضجر والحنق .

ألفى أمامه المفتش بيشو ، عدوه اللدود وصديقه الحميم .

قال بونار وهو ينظر خلسة إلى الخارج، حيث كان بيسلى يستقل سيارته
فى تلك اللحظة : عيد سعيد يا بيشو .

وتتبع المفتش نظرة بونار بعينيه ، ثم قال :

ـــ هل تعرف هذا الرجل ؟

فهز بونار رأسه سلبا ، واستطرد بيشو :

ـــ اسمه بيسلى ، وهو شخصية معروفة فى المدينة ، وأكبر ظنى أنه
كان يبتاع هدية عيد الميلاد لاحدى صديقاته من الممثلات ، لكن ماذا
تصنع هنا يا بونار ؟

ـــ خطر لي أن أتفرج على معروضات هذا الحانوت . فقد سمعت
أنها من أغنى الجواهر الموجودة فى المدينة .

فقطب بيشو جبينه ، وحدق فى وجه بونار مشدوها .. ثم قال :

ـــ تقول جئت للفرجة ؟!

وأدار بصره فى أرجاء الحانوت ثم استطرد بلهجة ذات مغزى :

ـــ هل تعتقد أن لوبين يتردد فى زيارة الحانوت لو أتيحت له فرصة
اقتحامه والخروج منه سالما .

فابتسم بونار ..

كان يعلم أن بيشو يعتقد بأنه لوبين بعينه . وقد كاد المفتش ينجح
مرة أو اثنتين فى إثبات هذه الحقيقة . ولكن خانه الحظ فى آخر لحظة.

واسترسل بيشو بعد هنيهة :

— ما من شك فى أن لوبين يعلم ان الحانوت مزود بعشات
اجراس الخطر تنطلق جميعها بمجرد لمس أية قطعة من المجو
الموجودة فى الحانوت.. بلغة تقديرى لما يبديه من فطانة فى تجنب
على سرقة أمثال هذا الحانوت .

فهز بونار كتفيه .. وقال كالحالم :

— لا أظن ان لوبين يحاول ادراك المستحيل .

وساد الصمت بين الرجلين .. كان كلاهما يحدق فى وجه
محاولا أن يقرأ أفكاره . وأما بونار فكان يتساءل عن سبب
بيشو فى الحانوت ولم يكن يجهل ان المفتش يتلهف مثله على
سبب حضوره هو أيضا اليه .

واخيراً قال بيشو بلهجة حادة :

— حسنا .. لا ريب عندى ان ارسين لوبين سيخطىء فى أ
ويقدم على عمل طائش يمكنني من الظفر به .

— أتمنى لك حظا سعيداً يا بيشو . وانه لخليق بك حقا
الموهوب ان تظفر حتما فى النهاية . وارجو أن يسعدنى الحظ
عملية القبض على ذلك اللص الذائع الصيت .

وابتسم كلاهما ابتسامة ذات مغزى . وقال بونار مستأذنا

— وينبغى ان أنصرف ، اننى اتلهف على اتمام قرا
بدأته أمس .. عيد سعيد يا بيشو .

— عيد سعيد يا بونار .

وانصرف بونار من الحانوت بخطى واسعة . وأخذ يدور ببصره
جاء الطريق باحثا عن سيارة بيسلي . ولكنه لم يجد لها أثرا .
كان يرجو أن يتمكن من مراقبة السمسار فترة أطول .. ولكن
ر بيشو المفاجىء أفسد عليه كل تدبيره .

وللمرة الثانية راح يتساءل عن سبب وجود المفتش فى حانوت
ريان ؟ اهل يعتقد حقا انه — اى لوبين — قد اقبل كعهده به ،
حم حانوتا يعرف العالم اجمع ان دون سرقته أهوالا جساما نظراً
اجهزة الانذار بالخطر فيه ؟ من المحتمل ان يكون هذا اعتقاد
. وعلى كل حال فان بونار لم يجد ايضاحاً آخر لوجوده فى
وت غير هذا الايضاح .

هز بونار كتفيه إستخفافا . وانصرف الى التفكير فى العهد الذى
على نفسه لمادلين من إعادة وثيقة الاعتراف اليها فى غضون يومين.
كن يعرف اين يحتفظ بيسلي بالوثيقة . بيد انه كان واثقا من
وجودة فى احد مكانين لا ثالث لهما . فهى إما ان تكون فى
سمسار او فى إحدى خزائن الأمانات . ولما كان البحث فى منزل
أمراً هينا فقد قرر ان يبدأ به أولا .

كنه آثر ان يتمهل حتى يرخى الليل سدوله ليتمكن من العمل
أكثر .

ضى بونار الى منزله . وقضى بقية النهار فى المطالعة ثم جلس
ف نحو ساعة . ثم انطلق الى احد المطاعم حيث تناول طعام

العشاء . واخرج من جيبه علبة صغيرة إعتاد ان يحملها معه كلما اعتزم
وغادر المطعم بعد فراغه منه . وراح يضرب في الطرقات على غيرقدام على إحدى مغامراته . ثم انتقى من بين الادوات الموضوعة فيها
هدى ، واخيراً قصد الى مطعم صيني . يديره احد اصدقائه من الشرقية مدية الطرف راح يعالج بها قفل الباب بضع لحظات فا لبث الباب
ترجع صداقتهما الى زمن بعيد حيث ادى بونار للصيني خدمة حفظ انفتح .
له هذا . واقسم بأجداده ان يظل طول حياته مخلصا لمنقذه . وشرع يرتقي الدرج في هدوء وحذر . وعلى هدى ضوء ضعيف
ولم يقف بونار مع صاحب المطعم طويلا . بل نفذ الي دهلي ينبعث من الردهة استطاع ان يتميز عدة ابواب . ففتح اقربها اليه
جانبي انتهى الى جـــدار مطلي باللون الأزرق . فضغط زرا خفيا ظل داخل الغرفة ولكنه لم ير مايثير اهتمامه . وعندئذ انتقل الي الغرفة
فانشق الجدار عن باب يؤدي الى غرفة مؤثثة تأثيثا انيقا . ورة ، واضاء مصباحه الكهربائي وأداره في ارجائها . وفي الحال
دخل بونار هذه الغرفة . واغلق الباب خلفه . وعندما غادر الغرفة انه في غرفة مكتب بيسلي .
بعد ذلك كانت هيئته قد تبدلت تماما . ولم يتوان عن العمل . أخذ يفتش أدراج المكتب بعناية . ولكنه
كان يبدو وكأنه شيخ قد اناخ عليه الدهر بكلكله . فاحدودب فيها غير أوراق عادية خاصة .
ظهره واعشى بصره ، عليه ثياب رماية عتيقة هي اقرب الى الخلق والأم واخيراً غادر الغرفة محنقا ودخل الي غيرها . فاذا به في غرفة المائدة
ومشي يعرج قليلا . ثم استقل الترام الذاهب الي الشمال . فقد انه كان يعلم إنه من غير المعقول أن يحتفظ بيسلي بمثل هذه الوثيقة
عرف من دليل التليفونات ان بيسلي يقيم في هذا القسم من الة في غرفة المائدة . إلا أنه لم يشأ ان يفرط أو يتهاون في البحث
ومـا كاد الليل ينتصف حتى كان بونار واقفا في طريـق هـادىء ع يفتش الغرفة بعناية تامة . ولما لم يجد فيها شيئا . غادرها وصعد
ضواحي باريس يتأمل المنزل الذي امامه ، والمكون من ثلاث طبقات لطابق العلوي .
قال لنفسه : انه منزل انيق هادىء فلا جلبة ولا ضوضاء يكان هناك باب قبالة الدرج مباشرة . فوقف بونار يصيخ السمع
الأعصاب والأنوار مطفأة ، فلا ريب ان جميع سكان الدار قد لحظات ، ولما إستوثق من أن كل شيء على ما يرام ، أدار مقبض
الى مضاجعهم ارجو الا يكون تقريع الضمير قد حرم بيسلي لذة ال بحرص ، ثم دخل الي الغرفة وأغلق الباب خلفه .
وعبر الطريق . ثم اختفى في مدخل المنزل . أضاء مصباحه الكهربائي ، وتفقد باشعته أنحاء الغرفة ، وعندئذ

أدرك انه فى غرفة جلوس مؤثثة على الطراز الشرقى تكثر فيها التماثيل الرخامية الصغيرة ، والأوانى الخزفية النادرة . ولكنها جميعاً لم تجتذب انظار بونار بقدر ما اجتذبته صورة ضخمة كانت معلقة فى مواجهة الباب .

وقد استرعت هذه الصورة بصفة خاصة التفاته لأنها لم تكن تنسجم مع باقى الصور التى تزين الجدران من حيث الحجم والأطار .

وهز بونار رأسه وتقدم من الصورة وأزاحها جانبا ، ما لبث أن ابتسم دلالة على الاغتباط .

رأى أمامه خزانة تشغل فراغا مجوفا بالجدار .. وكانت نظرة واحدة كافية لأن يعرف بونار نوع الخزانة وطريقة فتحها .

رفع الصورة من مكانها ووضعها فوق الأرض ، وقضي بضع سا
وهو يعمل بسرعة وهدوء وأخيراً فتح باب الخزانة .

وبدا يفحص محتويات الادراج ، وسرعان ما عثر على علبة جلد
صغيرة فأخرجها ، وجذب المقبض الصغير جانبا ، فوثب الغطاء
أعلا .

ومن داخل العلبة انبعث بريق يخطف الابصار .

وابتسم بونار ابتسامة الرضا ، وسره أن هيأت له الظروف الفر
على العقد الذى ابتاعه بيسلى من حانوت لينوريان بعد ظهر ذلك اليو
وأغلق العلبة ، ثم وضعها فى جيبه . لكى يقتضي بيسلى فيها
تلك الضريبة التى فرضها على كل مايقع تحت يده ، وهو عشر

يتنزل عنه صاغرا لاحدى الجمعيات الخيرية .

وعاد بونار يبحث عن الوثيقة . كان يدرك الصعوبات التى كانت تعترضه إذا لم يجدها فى هذه الخزانة بالذات . فان عدم وجودها معناه البحث عنها فى خزائن الأمانات . والحصول عليها فى هذه الحال لايقل صعوبة وخطورة عن سرقة حانوت الجوهرى لينوريان .

وما كاد بونار ينتهى من تفتيش الخزانة حتى ظهرت على وجهه علامات خيبة الأمل وأخذ يتمتم بعبارات تدل على السخط والقنوط وتنهد .. ثم أغلق الخزانة .. واعاد الصورة إلى مكانها . وقد صح عزمه على استنباط وسيلة أخرى تمكنه من انتزاع الوثيقة من بيسلى رغم انفه .

وللمرة الثانية ، اخرج بونار الحافظة الجلدية الصغيرة من جيبه وتناول منها احدى بطاقته المطبوعة التى اعتاد ان يتركها فى امكنة مغامراته لتكون بمثابة صفعة مؤلمة لرجال البوليس :

وكانت كما يلي : « لاشك انك ستغفرلى دعابتى واجترائى على شيء مما تملكه على انى على استعداد لرد ما أخذت لو انك تبرعت بعشر قيمته لأحدى الجمعيات الخيرية .

أرسين لوبين »

« * »

وضع بونار البطاقة فوق منضدة صغيرة على مقربة من موضع الخزانة .. ولكنه تردد لحظة .. وكان التردد منه غريبا فى بابه .. وتنازعته شتي العواطف وهو يضع يده فى جيبه يتحسس العلبة التى

سرقها من الخزانة .

لاريب ان السمسار كان يعتزم تقديم العقد النفيس هدية
الميلاد لأحدى النساء ، فليس من العدل فى شىء أن يحرم هذه
من الهدية النادرة على الرغم من أنه فى استطاعة بيسلى أن يسترده
الاتاوة المفروضة فى أية لحظة .

وهم بونار باخراج العلبة من جيبه . ولكنه جمد فى م
وأصاخ السمع ..

ادرك انه وقع فى الفخ .

سمع وقع اقدام خارج باب الغرفة . وقبل أن يتمكن من
أو الحركة ، فتح الباب فجأة . وغمر الغرفة ضوء قوى بهر

وقال القادم : حذار أن تتحرك .!

ورأى بونار (بيسلى) أمامه وهو يرتدى معطفا منزليا فاخرا
فى يده مسدسا ضخما صوبه إلى صدره .. وقد انتفخت اوداجه
عيناه ببريق الغضب .

— ٤ —

شل ظهور بيسلى المفاجىء تفكير بونار بضع لحظات ..
سرعان ما استعاد هدوءه ، وأخذ يجهد قريحته باحثا عن مخ
هذا الموقف الدقيق ..

وتقدم بيسلى بضع خطوات من بونار ، وهو ينظر اليه
ويسدد المسدس إلى صدره . وقد انحسرت عن وجهه العبو

ضب .. وأشرق بابتسامة صفراء .

صاح بحدة : سلم نفسك .

فأطاع بونار ، ورفع يديه فوق رأسه ، فما كان فى استطاعته ان
ل غير ذلك والمسدس مصوب اليه ، وأية حركة أو معارضة قد
دى إلى أوخم العواقب .

ومع ذلك فانه لم يفقد الأمل . عول على الانتظار حتى تحين
صة الملائمة فينقض على بيسلى وينتزع منه المسدس .

بيد أن ماكان يؤلمه فى تلك اللحظة ، هو انه أخفق فى الحصول
الوثيقة الخطيرة التى قطع لمادلين عهدا على نفسه باعادتها اليها فى
عيون يومين .

ومن طرف خفى ، نظر بيسلى إلى العلبة الجلدية الموضوعة فى
جراب بونار والتى كان جزء منها يبدو جليا للعيان ، ومالبث ان ابتسم
راء ، وقال متهكما : يؤسفنى انك فشلت فيما جئت من أجله ياصديقى

فنظر اليه بونار من خلف العوينات التى كان يضعها فوق عينيه
اكتئاب ، ولكنه كان يشعر بفرح غامر فى قرارة نفسه ،
وجود العقد فى جيبه كفيل بألا يجعل بيسلى يرتاب فى شخصية
بونار) وفى المهمة الحقيقية التى أقبل لانفاذها .

وارتسمت فى عينى السمسار نظرة تدل على الحيرة .. وقال :

— هذه هى المرة الأولي منذ اسابيع عديدة ، احتفظ بشىء ذى
فى خزانتى ، هل كنت تعرف بأمر العقد ، أم انك جئت بمحض

الصدفة ؟

فلم يجب بونار ، وراح يحملق فى وجه السمسار بنظرة كئيبة رمى من ورائها إلى اخراجه من حذر ، لينقض عليه ويجرده من السلاح ، ثم يلوذ بالفرار قبل ان يتمكن السمسار من استدعاء البوليس

واستطرد يسلى بعد هنيهة :

ــ ان التليفون موجود فى الغرفه المجاورة ، هل رافقنى اليـ لأتصل برجال البوليس ، فمن كان مثلك مجرما هاويا ..

وأمسك يسلى عن الكلام فجأة .. وتقلصت عضلات بونار وتهـ للعمل السريع الحاسم .. فقد حانت اللحظة التى كان يتوقعها .. ذلـ ان عينى السمسار وقعتا على البطاقة المطبوعة فارتسمت على وجهه سيـ الدهشة والعجب .. فتقدم من المنضدة وهو لاينى عن تهديد بونـ بمسدسه .. ونظر إلى البطاقة .. وعندئذ صاح بصوت اجش :

ــ أرسين لوبين ..!؟

وفى اللحظة التالية وثب لوبين جانبا .. ثم انقض على يسلى وانتزع منه المسدس بعنف . فأفلتت شفتا السمسار صرخة تدل عـ فرط الغضب .

وأخذ بونار يفرغ الرصاص من المسدس ثم قذف به فى أحـ أركان الغرفة .. واستطرد : كان من المحتمل أن ينطلق عفوا لو اـ ظللت تعبث به كما كنت تفعل .. شدما اعجب يايسلي ..

وكف عن الاسترسال فى حديثه .. وحدد البصر إلى وجـ

السمسار فراعه ما رأى من اصفرار ، وارتعاش اوصاله .. وعندئذ خطرت له فكرة فتقدم بضع خطوات منه وهو يعرج . فغاض الدم من وجه الرجل وخيل لبونار انه يوشك على السقوط .

وأخذ بونار يتأمل وجه السمسار متفكرا .. من المحتمل أن تكون وثيقة الاعتراف مودعة فى إحدى خزائن الأمانات . ولكن ذلك لايعنى بالضرورة إنها غير موجودة مع يسلى نفسه .

خطر له ان يرسل الذعر إلى قلبه لعله يحمله على الاعتراف بمكانها فقد كان تصرف الرجل وقلقه الظاهر يدلان على جبنه وعدم قدرته على مواجهة المواقف الخطرة . فهو لايتردد إذن فى الاقدام على أى شيء إذا أدرك أن حياته معرضة لخطر حقيقى .

وما أن تقدم بونار منه قليلا . حتى تراجع والتصق بالجدار . وهو ينتفض من فرط الخوف .

ورفع بونار يده أمامه ، وقلص أصابعه كأنما يتهيأ للقبض على عنق السمسار فصاح يسلى بصوت أجش :

ــ ماذا تريد ؟ لقد استوليت على العقد ، أفليس فى هذا الكفاية ؟

م بونار أن يجيب بالنفى ، ولكنه أمسك فى الوقت المناسب ، فقد أدرك أنه ليس من الحكمة فى شيء أن يجازف بذكر السبب الذى حدا ه إلى إقتحام منزل السمسار وهو غير متأكد من أنه سيرغم يسلى على الاعتراف بمكان الوثيقة ، أو وجودها معه .

قال بلهجة رقيقة :

ـ دعنى أرى ماعندك ، هلم بنا إلى الغرفة المجاورة.. ولـكن
من أحداث أية جلبة أو ضوضاء .

فنظر اليه بيسلى شزرا ، ولـكنه إضطر فى النهاية إلى الأ
فشى أمام بونار إلى غرفة النوم،وسار هذا فى أثره ، وهو يرا
خشية أن يبدر منه مايدل على الخديعة أو الخيانة .

وكانت ملابس السمسار أول ما أسترعى إلتفات بونار ، وذ
كانت موضوعة فوق أحد المقاعد .

قال بلهجة آمرة : أخرج محتويات هذه الثياب وضعها فوق
فزمجر بيسلى ، ولـكنه لم يجد مناصا من الأذعان ، فأخ
محتويات جيوب بذلته فوق الفراش .

لم تكن حافظة الأوراق تحتوي على شيء ذي أهمية عدا بعض
مالية. وأما بقية الأشياء فلم تثر إهتمام بونار ، فأدار بصره فى أنحـ
يطه ولـكنه لم ير شيئا يبشر بالأمل ، وعندئذ تهيأ للانصراف
لاحظ أمراً عجيبا فى تصرفات السمسار ، ذلك أنه كان يدور
ارجاء الغرفة ما بين الفينة والفينة وعلى وجهه علامات الاضطراب
وكلما مرت الدقائق ازداد اضطرابه وقلقه . فأدرك أن فى الد
يحرص السمسار على ألا يراه .

واستقرت عينا بونار على مكتب صغير موضوع على مقربة

فقال بلهجة صارمة :

ـ افتح ادراج هذا المكتب يا بيسلى .

فأجاب الآخر وهو ينتفض :

ـ ليس فيه شيء عدا بعض رسائل خاصة .

فأردف بونار بلهجة ولو انها كانت رقيقة إلا ان الاشارة التى رافقتها جعلت السمسار يسارع إلى تلبية الأمر .

ـ افعل ماأمرتك به .

وبيدين ترتعدان بشدة شرع بيسلى يخرج محتويات الأدراج . ولـكن بونار لم يجد بينها غير بضع رسائل خاصة كما قال السمسار . وتملكته الحيرة . فان مثل هذه الرسائل العديمة القيمة لا تقتضى حالة الاضطراب التى كانت تسيطر على بيسلى . فلابد اذن ان بالغرفة شيئا آخر يحرص على اخفائه .

قال بصوت لا اثر للعداوة فيه : قف لصق الجدار .

فأطاع السمسار دون ان ينبس ببنت شفة .

وتقدم بونار من المكتب . ونظر إلى الأشياء الموضوعة فوقه . وراح يفحص الدواة والنشافة وادوات الكتابة . ولـكنه لم يجد بينها مايبرر اضطراب بيسلي وقلقه . ومع هذا كان من الواضح ان السمسار يعانى ازمة نفسية عنيفة . فقد انثالت حبات العرق فوق جبهته . وأخذ يرتجف بشدة :

وتحول بونار عن المكتب وواجهه بنظرة فاحصة متأملة . ثم سأله :

ـ ماالذى تخشى أن أعثر عليه ؟

فغمغم الآخر : لا . . لاشيء .

فهز بونار رأسه سلبا . وقال :

ـ لست أصدقك يابيسلى . أن حركاتك تفضحك.

أنك تحتفظ بجواهر أخرى غير العقد فى منزلك . ويؤسفنى أ

على شد وثاقك حتى تتاح لى فرصة البحث الدقيق .

فغر لون السمسار ،واصطكت أسنانه . وصاح بصوت ا

ـ إنك لن تعثر على شيء . أقول لك إنك لن تجد شيئا

كنت أملك مجوهرات أخرى لأودعتها الخزانة . لماذا لا ..

وتوقف الرجل عن الكلام ، وأدار عينيه نحو الباب .

تجلت على وجهه علامات الدهشة الممزوجة بالأمل .

فتح الباب ببطء وهدوء . فتراجع بونار إلى الخلف وهو

غاضبا . وقد جد تفكيره فى الحال .

ونفذ إلى الداخل رجل بدين كان يحمل فى يده مسدساً .

ولم يكن هذا الرجل غير المفتش بيشو .

— ٥ —

كانت لحظة عظيمة فى حياة بيشو ، وخطيرة فى حياة أرس

وأية لحظة أخطر من أن يضبط وفى جيبه عقد بيسلى المسا

الغرفة المجاورة بطاقته الخالدة ؟

كان الموقف خطيراً ولا شك ، ولكن ذلك لم يزعج بونار

ما آلمه أنه لم يستطع أن يرى بوعده لمادلين .

لم يكن يضيره أن يقبض عليه .. لكن مادلين !؟

والرأى أن القبض عليه معناه هلاكها وهلاك زوجها المسكين.

« ٠ »

قدم بيشو من بونار بخطوات ثابتة مطمئنة ، وأخرج بيده المطلقة

من القيود الحديدية من جيبه .. وقد تألقت عيناه ببريق الرضا

تهاج .

انت نظرة واحدة كافية لأن تؤكد له أنه وجها لوجه مع أرسين

.. فطالما رآه بهذه الهيئة فى عدة مناسبات سابقة .. ولكنه

طم حتى تلك اللحظة أن يظفر بدليل واحد يثبت أن أرسين لوبين

كتور بونار .

اح وهو يعد القيد : أبسط يديك أمامك إنك لن تستطيع فى

لمرة أن تجد إلى الفرار سبيلا .

قد بونار ساعديه فوق صدره بهدوء عجيب ، وراح يتأمل وجه

البوليس كأنما يتساءل عن معنى هذا التدخل المفاجيء .

ما بيسلي فكان قد ارتاع لدخول المفتش المفاجيء . ولكنه

ما أخذ يستـرد هدوءه وشجاعته عندما تبين أن القادم من

البوليس .

اد بيشو يصيح بلهجة حادة وهو يتقدم خطوة أخرى

ار :

قلت لك أبسط يديك !! إننى عالم بحيلك ، خبير بألاعيبك .

أن تسلم بهدوء . من أن تسلم وأنفك فى الرغام .

لم يتحرك بونار .. وبدت على وجهه سيماء الضجر والسأم
ولكن لم يبدر منه ما يدل على إعتزامه التسليم أو الفرار .
ليست هذه بأول مرة يواجه فيها بونار المفتش بيشو . ففي كل مرة
يواجه وساعداه معقودان فوق صدره . وعلى وجهه آي الضجر
وفي كل مرة كذلك إستطاع بحيله التي لا تفرغ منها جعبته أن يسيطر
الموقف ويفلت من يده .. وهذا ما سيفعله أيضا هذه المرة ، ولو
لم يجد الوسيلة بعد .

وقطع بيسلي حبل الصمت بقوله :

ـ لقد إستيقظت من نومي على وقع أقدامه وهو يروح ويـ
في الغرفة المجاورة .. أنه فتح خزانتي .. واغتصب منها عقداً
إبتعته بعد ظهر اليوم .

فقهقه بيشو ضاحكا ، وهتف:

ـ آه . لقد ضبطته متلبساً بالجريمة إذن !!

ونظر إلى الجزء البارز من الحقيبة الجلدية من جيب
ثم قال :

ـ خطر لي مرارا أن هناك شبها عجيبا بينك وبين رجل
بيير بونار .. إنني رأيت بونار عصر اليوم .. وتظاهرت بأنني
أنه يعد العدة لسرقة حانوت الجوهري لينورمان ، ولكنني
متأكداً من أنه كان يراقب مستر بيسلي وهو يبتاع العقد الما
فعولت على مراقبة هذا المنزل الليلة .

وكف عن الكلام ريثما يلتقط أنفاسه ، ثم استطرد :

ـ إنني عاجز عن شكرك لتركك الباب الخارجي مفتوحا .

وعاد يقهقه ضاحكا .. وهو يهز القيد الحديدي في وجه بونار ، ويأمره ببسط يديه والاستسلام دون مقاومة .

ثم اردف : لقد آذنت خاتمة ارسين لوبين . . صحيح انه سخر مني كثيراً ولكني ربحت الجولة الأخيرة ، هل ستبسط يديك من تلقائك ، ام سترغمني على معاملتك بخشونة ؟

فقال بونار بتلك اللهجة التي يستعملها كما تنكر على هيئة ارسين لوبين :

ـ على رسلك ياسيدي !

كان عقله يعمل بسرعة . رغم جمود وجهه .

ثم استطرد : هل لي أن أسألك من أنت ؟

فضحك بيشو مرة أخرى ثم قال :

ـ ملحة لا بأس بها !! أنك تعرفني مافي ذلك من ريب . لكن إذا
ت تصر على أن اقدم لك نفسي ، فاعلم انني المفتش بيشو ، انني عانيت
يراً من سخريتك وتهكمك يابونار ، وكنت كلما أعربت لك عن املي
وطيد في وقوع ارسين لوبين في قبضتي يوما ما ، ضحكت استهزاء
سخرية ، وابديت رغبتك في شهود هذا الحادث الفريد إذا فرض
قع ، وها أنت ترى أن رغبتك قد تحققت اخيراً .
فرفع بونار حاجبيه قليلا ، وقلب شفتيه احتقارا ثم قال :

ـ إذن فأنت هو المفتش بيشو ؟! اظن انك تريد القبض علي !

وهز كتفيه استخفافا ، واستطرد :

ـ إذن تقدم ياسيدى ، وقم بما يفرضه عليك واجبك .

نظر بيشو إلى بونار بحنق كأنما اعتبر سؤاله تحديا صريحا ، وتقد خطوتين إلى الأمام ، وقبض على إحدى ذراعى بونار المعقودتين وجذ بعنف ، ولكن الذراع لم تتحرك ، فأدرك المفتش عبث المحاولة ، فقا مزمجرا : لاتحملنى على استعمال القوة ياصاح ! حسنا يامسيو ارسين لو سأستدعى اثنى عشر ضابطا للقبض عليك ، ثق انك ستذهب إلى السج الليلة حتى ولو اقتضى الأمر ان تذهب اليه محمولا على نقالة .

فبدا الاهتمام على وجه بونار . وقال بهدوء :

ـ ولكنى سمعت مرارا انك ترجو ان يكون القبض على ارسين لو من نصيبك وحدك . ولكن ها انت تتحدث عن استدعاء اثنى ع ضابطا . اليس هذا تراجعا مزريا بك ؟!

فانتفخت اوداج بيشو . وشد قامته فى كبرياء . وهتف :

ـ وهل تعتقد انى لا استطيع ان اقبض عليك بمفردى ؟ ر بك غرورك إلى حد الظن بانك اشد منى مراسا واقوى شكيمة ! ثبت فى ذلك الآن !

وانقض على بونار كوحش كاسر . فوثب هذا بخفة المر بيشو وكلما خطر له انه ظفر بغريمه العنيد وضيق عليه الخناق قد افلت منه بحركة سريعة كالبرق الخاطف .

وطالت هذه المطاردة بضع دقائق . كان بيشو خلالها يتميز

وحنقا ولهثت انفاسه . وانثال العرق فوق جبهته .

وادرك بونار انه بدأ يربح المعركة .

وفجأة رن جرس التليفون . فجمد الرجلان فى مكانهما . ولما كان بونار اقرب من غريمه إلى التليفون . فقد رفع السماعة قبل ان يتمكن احد الرجلين من الاعتراض او منعه من ذلك .

وقال بونار بصوت حاول ان يجعله مماثلا لصوت يسلى : من المتكلم؟

واعقبت ذلك فترة صمت . كان يسلى يحملق خلالها فى وجه بونار كالمصعوق ، وأما بيشو فقد فغر فاه دهشة . واتسعت حدقتاه ، وسقط فى يده . فلم يدر ماذا يصنع .

وأجاب بونار المتكلم بعبارات مبهمة . ثم أعاد السماعة إلى مكانها . وقال:

ـ هذا رجل يستفسر عن زوجته .

وحدد النظر إلى وجه يسلي ، ثم استطرد :

ـ إن النساء عجيب شأنهن دائما ، فالمرء لا يعرف أين يجدهن !!
لم يحدث لك ذلك أيها المفتش ؟

وكان جواب بيشو على ذلك استئناف الهجوم بحماس أشد ، فتمهل نار ريثما اقترب المفتش منه ، ثم وثب جانبا ، وكرر هذه الوثبة حتى صل إلى باب الغرفة ، ومد يده ليفتحه وعندئذ حدث مالم يكن فى سبان .

تعثرت قدمه فى السجادة ، ففقد توازنه ، وسقط على الأرض . طدم رأسه بالجدار ، فتأوه ، وتدحرج ، وتمدد بلا حراك .

وعال بيشو فوقه ، وأخذ يحملق فى وجهه بارتياب ، فقد خشى أن
يكون فى الأمر خدعة ، ولم يشأ أن يجازف فبقى مصوبا المسدس إلى
صدر بونار بينما وقف بيسلى خلفه يراقب مايحدث ويحدق فى و...
الصريع الجامد .

وقال بابتهاج : لقد دنت نهاية ارسين لوبين . سيقضى عيد الميلا...
فى السجن . شد ما يسرنى انى ساهمت فى القبض عليه انى كو...
مخلص ..

فقاطعه المفتش بحدة : صه ، يبدو انه اصيب حقا . . لقـد ظـ...
فى البداية ان فى الأمر خدعة . مهما يكن . فلن أجازف بحرصى ...

ووضع مسدسه فوق الأرض .. ورفع احدى ذراعى بونار ...
بتطويقها بالقيد الحديدى ولـكنه اصيب فجأة من هذه الذراع بل...
عنيفة فى وجهه جعلته يتدحرج فوق الأرض .

وفى اللحظة التالية كان بونار واقفا على قدميه . وبيده مـ...
المفتش بيشو .

وقال بهدوء وهو يتراجع صوب الباب :

ـــ لا تتحركا أيها السيدان . حذار يابيسلى ! أخبرنى ايها ا...
كم يساوى هذا المسدس ؟

فصاح بيشو مغضبا : ماذا .. ماذا يعنيك من ذلك ؟

فصاح بونار بمرح : لا شىء . فقط كنت سأقترح علي...
تسترد هذا المسدس مقابل دفع عشرة فى المائة من ثمنه لجمعية ...

بالحيوانات . اتمنى لك عيداً سعيداً يا بيشو .

ثم نفذ من الباب ، وصفقه خلفه . وشرع يهبط الدرج على عجل
وهو يقهقه ضاحـكا . وان هى إلا لحظات حتى كان قد بـلغ باب الدار
الخارجى ففتحه وأغلقه بعنف . ومن ثم عاد أدراجه بهدوء ، واختبأ
فى احد الأركان المظلمة .

وبعد هنيهة اقبل بيشو وبيسلى وهما يركضان ، وفتح المفتش باب
المنزل وادار بصره فى اتجاه الطريق . ثم غمغم بحنق :

ـــ لقد ذهب ! يااللعين !! انه لم يتورع عن مطالبتى بالتبرع بعشرة
فى المائة من ثمن المسدس إذا أردت استعادته .

وتمتم بيسلى : لقد ذهب !!

فاردف بيشو باكتئاب : ولـكنى سأظفر به !!

فضحك بونار ضحكة ساخرة . ولـكن احداً من الرجلين لم يسمعها .

ـــ ٦ ـــ

ظل بيسلى وبيشو واقفين عند الباب بضع دقائق . واخيراً قال
...شو باهتمام : هل تقطن هنا بمفردك يا مستر بيسلى ؟

ـــ نعم . انى اعزب كما تعرف . وقد ورثت هذا المنزل عن والدى
...دى خادم يقوم على شئوني المتواضعة. وامرأة تتردد يوميا على المنزل
...هى والتنظيف . وفيما عدا هذين أعيش بمفردي . لست انكر ان
...ل كبير جدا على شخص واحد . وبهذه المناسبة ، واخبرني ايها
...ش ، كيف اتفق أن كنت موجودا فى حانوت لينوريان عصر

اليوم عندما كنت ابتاع العقد ؟
ــ لم يكن ذلك إتفاقا . فقد ذهبت الى هناك لدواع تتصل بعم
إذ جرت العادة أن يحوم الأشرار واللصوص حول حوانيت الجوا
الكبيرة فى مناسبات الأعياد . ومن واجبي ان اقبض على اكبر
منهم . ويؤسفنى كثيراً انى لم أوفق فى منع ارسين لوبين من الم
بالعقد الماسي ولكن ثق انى لن ادخر وسعاً فى اعادته اليك .
مساؤك يامستر بيسلى .

وسمع لوبين وهو فى مخبئه صوت الباب وهو يغلق . فتمهل
سمع السمسار وهو يرتقى الدرج . ثم برز من مكمنه وتبعه بحذر
كان باب غرفة المكتبة مفتوحا . ورأى بونار السمسار وهو
رصاص مسدسه من فوق الأرض . ويضعه فيه .

لم يكن بقاء بونار فى الدار لغير ما سبب فقد كشف له حدي
بيسلي عن مسائل كانت غامضة عليه . ومن ثم آثر البقاء . وهو
أن تتكشف له حقائق جديدة تلقى ضوءاً على الموقف . إذ رابه
السمسار قبل حضور بيدو وما كان من اضطرابه الشديد ، و
على ان يخفى شيئا معينا عنه .

أطفأ بيسلى النور ، وغادر الغرفة . وجعل يرتقى الدرج
الطابق الثالث ، وهو القسم الوحيد الذى لم يكن بونار قد رآ
وكان الظلام شديد الحلكة ، فتعقبه بونار عن كثب ، و
حرص على ألا يبدر منه ما يفضح وجوده .

وعبر السمسار بابا ، فتوقف بونار خارجه .. وقد دله الاتجاه على ان الغرفة التى دخلها بيسلى تقع فوق غرفة النوم التى فى الطابق الثانى. اغلق بيسلى الباب خلفه . وبعد هنيهة سمع بونار صوت مفتاح يدار فى قفل صدىء، فأحدث صوتا مزعجا عكر صفو السكون الشامل .

ولعن بونار السمسار ، فقد أدرك انه مالجأ إلى حبس نفسه فى الغرفة إلا لسبب هام وبذلك جعل تعقبه امر أمستحيلا فى الوقت الحاضر .

وعلى الرغم من مهارة بونار فى فتح الأقفال . فانه رأى من الحكمة الا يقدم على هذه المحاولة خشية ان يحدث الباب صوتا ينبه السمسار إلى وجوده .

ولكنه كان متلهفا على معرفة ما كان الرجل يصنعه فى تلك اللحظة فوضع اذنه فوق فتحة القفل . واصاخ السمع .

وفى النو ، سمع اصواتا تتحدث ا ولكن الباب كان سميكا ، فلم يتمكن من تمييز الحديث الدائر .. بيد انه عرف شخصيات المتحدثين بمجرد سماعه اصواتهم .

وقد تأيدت الريبة التى ساورته عندما تلقى الحديث التليفونى . فلم يكن الشخص الذى يجاذب بيسلى الحديث فى تلك اللحظة غير مادلين . ونظر بونار من فتحة القفل ودله لهجتهما على تكهرب الجو بينهما. وفجأة تلاشت الأصوات . وخامر بونار إحساس قوى بأن بيسلى غادر الغرفة ، وبقيت مادلين وحدها فى الداخل .

فانتظر بضع دقائق ، ثم اخرج اداة مدببة من حقيبته الصغيرة .

ودسها فى فتحة القفل ، وادارها مرتين ففتح الباب .
ونفذ إلى الداخل بحذر وهدوء . وتقدم إلى الأمام خطوتين
يدور ببصره فى أرجاء الغرفة المظلمة .

وسمع صوت مادلين وهى تقول هامسة : من هذا ؟

فأجاب بصوته الطبيعى : هذا بونار يامادلين . لا تخافى ياعزيزتى
أين ذهب يسلى ؟ .

وسمع بونار المرأة وهى تتنهد دلالة على الارتياح . وقالت فى خفو

ـــ لقد ذهب ، ولكنه قد يعود فى أية لحظة .

ـــ ذهب ؟ . أواثقة أنت من ذلك ؟

ـــ نعم .

فتقدم بونار نحوها ، وهو يتحسس طريقه بيديه . وقال :

ـــ هذا أمر عجيب ! ! لقد كنت واقفا خارج الباب . و
واثق أنه لم يغادر الغرفة من هذا الاتجاه . أين أنت يا مادلين ؟

فأجابت المرأة بصوت متهدج كأنما كانت تعانى ألما ممضاً :

ـــ هانذا يا بونار .

فتقدم بونار فى اتجاه الصوت . وأخيراً عثر على يدها الممدو
فأمسكها بلهفة فاذا بها باردة ترتعد ، فقال مطمئنا :

ـــ لا تجزعى يا مادلين ، لو عاد يسلى الآن فسنستقبله اس
لن ينساه طول حياته ، انتظرى !

وأخرج مصباحه الكهربائى من جيبه . وأدار أشعته فى أ

الغرفة ولكنه لم يجد بها أبوابا غير ذلك الذى دخل منه . وأما النافذة
فكانت مغلقة وبها قضبان حديدية غليظة . فتملكته الدهشة والحيرة
وتساءل كيف غادر يسلى الغرفة ؟ .

وإنه لكذلك يضرب أخماساً فى أسداس ، إذا به يسمع مادلين
تسأله :

ـــ لماذا جئت إلى هنا يا بونار ؟

فأدار بونار ضوء المصباح بحيث لا تتمكن مادلين من رؤيته وهو
فى هيئته التنكرية ، ثم أجاب مراوغا : حدثينى بما وقع يا مادلين .

فترددت قليلا . وقالت بصوت مضطرب :

ـــ هل تذكر ما حدثتك به بعد ظهر اليوم عن وثيقة الاعتراف
لقد أطلت التفكير فى أمرها بعد افتراقنا ، وكلما أمعنت فى تفكيرى
وكلما بدا لى الموقف خطيراً يدعو إلى اليأس . وقد شعرت بتقريع
ضمير ، وتملكنى خاطر واحد وهو التضحية بكل شىء فى سبيل إنقاذ
يان من وطنه . ومن ثم قررت العمل :

فقاطعها بونار مؤنبا :

ـــ لم يكن ينبغى أن تزعجى نفسك من هذه الناحية . ألم أعدك
ادة الوثيقة كهدية عيد الميلاد ؟

ـــ أعرف ذلك . ولكنى كنت شديدة القلق . وخفت أن يحدث
يس فى الحسبان .

وضحكت ضحكة هستيرية . واستطردت :

الغرفة .. ثم تأبط ذراع مادلين وقادها الى الخارج .. وهو يه
فى اذنها محذراً اياها من إحداث أية ضوضاء .. ولما وصلا الى ال
الخارجى ، وقف بونار فى ظل الباب كيلا يمكنها من رؤية و
ثم انتظر حتى مرت بهما سيارة اجرة فنادى سائقها . فوقف .

وقال بونار لمادلين وهى تتهيأ للصعود الى السيارة : تذ
ماقلته لك ، ولا تضطربى او تجزعى .. وحذار ان تقدمى
اى عمل طائش كالذى اقدمت عليه الليلة

ما ان تحركت السيارة حتى قفل بونار عائداً الى المنزل .. وار
الدرج فى هدوء حتى بلغ الغرفة التى كانت منذ لحظات سجنا لمادلي

كان إختفاء بيسلى الغامض مدعاة لقلقه وحيرته .. وخيل ال
المأساة اكثر غموضا مما تبادر الى ذهنه اول الأمر .. وبدا
فى قول مادلين من ان زوجها كتم عنها القسم الهام من المأساة لي
الألم والقلق .. ويرى رأيها .

وعاد بونار يصوب ضوء مصباحه الى الجدران والأرض ..
يجد شيئا يدل على ان بيسلى قد عاد الى الغرفة إبان غ
(أى بونار) عنها .

ورأى بونار (بريزة) النور فى الجدار ، ولكن (الـكب
كان منزوعا منها . فأدرك ان السمسار قد فعل ذلك ظنا منه
مادلين لن تجرؤ على الهرب من سجنها فى الظلام .. اما الغر
فكانت سيئة التأثيث مما يدل على انها غير مطروقة .. وفى ا

جدرانها فتحة ضيقة . ولكنها مستطيلة .. ثبتت فى جانبيها مشاجب علقت فوقها ثياب قديمة فتقدم منها ، وجرى بيده فوق سطح هذه الفتحة وفى اركانها .. ومالبث ان جمد فى مكانه واصاخ السمع .

خيل اليه انه يسمع اصواتا صادرة من خلف هذه الفتحة ولكنه هز رأسه فى ارتياب وظن انه الوهم يتلاعب بأذنيه . ولكن الأصوات كانت تبدو اكثر وضوحاً مابين الفينة والفينة . ومع ذلك فقد عزاها بونار الى الجرذان ، أو صدى الضوضاء الناجمة عن حركة المرور بالخارج .

ووضع أذنه فوق الجدار ، وحبس انفاسه بضع لحظات ، وعندئذ تأكد من أنه يسمع صوت شخصين يتحدثان ، بيد أنه لم يستطع أن يتميز شيئا من حديثهما .

واخيرا أطفأ مصباحه ، فقد علمته التجارب ان اذني الانسان تكونان أرهف سمعا فى الظلام عنهما فى النور .

فجأة تلاشت الأصوات . . ولكن بونار لم يتحرك من مكانه . . وظل مصيخا السمع .

وانه لكذلك ، اذا به ينتفض فجأة فقد دلته تلك الحاسة الغامضة التى طالما أخرجته من أحرج المآزق ، انه يسمع صوت حركة فى الجانب الآخر من الجدار .

فألصق اذنه به . ولكنه لم يستطع ان يجزم أكان ذلك الصوت حقيقيا أم وليد الوهم والتصور ؟

غمغم فى ضجر : ترى ماذا هناك ؟

ثم نهض واقفا ، وخيل إليه أن جو الغرفة قد شحن بموجة من الذع

والفزع . فقد مزقت السكون صرخة أعقبتها اخرى وكانت كلتاه

خافتة ضعيفة صادرة من بعيد ، ولكنهما كانتا تفصحان عن أبلغ الأ

والعذاب .

وجمد بونار فى مكانه وهو يتوقع تكرار الصرخات . ولكن

السكون عاد يخيم على الدار كلها ، فاقشعر بدنه . وعراه ذهول خفيف

وأما عقله فكان لايزال يقظا ، وراح يجرى باصابعه فوق الجدا

باحثا عن زر خفى أو مايشبهه ، ولكنه لم يعثر على شىء .

وفجأة تراجع إلى الوراء ، والتصق باحد اركان الفتحة .

سمع وقع اقدام تقترب من المكان الذى كان واقفا فيه منذ لحظا

فكمن للقادم وهو يتحفز الوثوب .

ولفحت وجهه نسمة من الهواء ، كما يحدث عندما يفتح الاند

باب غرفة مغلقة .. بيد انه لم يسمع صوتا ، او ير شيئا ومع ذلك ف

ايقن انه ليس وحيدا فى فتحة الجدار .

وسمع همسا على مقربة منه . اعقبته تنهيدة خفيفة ، وبضع كل

مبهمة دلت على ان الشخص الذى دخل إلى الغرفة يعانى من ازم

نفسية حادة . لعلها كانت النتيجة الطبيعية للعمل المنكر الذى ارتكب

وتردد بونار ، ولم يدر هل يبرز من مكمنه ، ام يترقب قليلا ؟

ولم يطل انتظاره . فقد اخذ القادم يبتعد عن الفتحة . فت

بونار منها واستطاع ان يسمع شخصا يتنفس . ولكن الظلمة كانت

حالكة فلم ير شيئا :

وسمع صوت بيسلى وهو يقول .

— اليس لديك ما تقولينه ايتها الحسناء ؟

كان الصوت متهدجا . برغم المجهود الواضح الذى كان المتكلم

يبذله لكبت عواطفه .

كان بيسلى يتحدث إلى مادلين .. وهو لايدرى انها قد وجدت

السبيل الى الفرار .

قال بصوت أهدأ عن ذى قبل :

— خير لك ان تتكلمى يافتاتى .. اخبرينى من انت ، وما الذى

دعاك إلى المجىء الى منزلى . اما إذا اصررت على الرفض . .

ولم يتم عبارته . فقد نطق بالكلمة الأخيرة بلهجة تهديد واضحة

ولما لم يتلق جوابا مضى يقول بشىء من الحدة وضيق الصدر :

— ألا تتكلمين ؟ إذن اصغى إلى ما سأقول . إذا رفضت

الكلام الآن . فلن تتكلمى ابدا . هل فهمت ؟

كانت لهجة صارمة توحى بانه اعتزم انفاذ تهديده .

واستطرد بعد هنيهة : لقد اتصل احد الأشخاص بمنزلى تليفونيا

هذا المساء ، ولكنى لم اتمكن من الاجابة عليه . إذ تلقى المحادثة شخص

آخر . ولا ريب ان الحديث كان يتعلق بك ، برغم ان الشخص الذى

تلقاها حولها إلى نكتة بارعة ، وقال انه شخص يبحث عن زوجته

والآن .. سأمهلك ستين ثانية لتخبرينى من انت ولماذا جئت

إلى منزلي .. فاذا لم تتحدثي خلال هذه المهلة فسوف تندمين [على]
اصرارك على الصمت .

وسمع بونار صوت احتكاك خفيف .. ثم سطع في الغرفة ضو[ء] ضئيل فقد اشعل بيسلي عود ثقاب ، ونظر إلى ساعته اليدوية ك[ي] ليؤكد للفتاة عزمه على انفاذ تهديده إذا رفضت الاذعان والأفض[اء] اليه بما يريد .

وأبرز بونار رأسه من وراء الثوب الذي كان مختفيا خلفه ف[رأى] بيسلي واقفا في منتصف الغرفة وهو ينظر إلى ساعته .

وبعد هنيهة رفع السمسار رأسه ، وقال : لقد انقضت المهلة !

ورأى بونار علامات الفزع ترتسم على وجه بيسلي ، وسمعه ي[...] بضع كلمات تدل على السخط ، ثم تقدم من باب الغرفة ، فألقاه مفتو[حا]

وانطفأ عود الثقاب ، فأشعل السمسار غيره ، وكر عائدا نحو [...] الجدار ، فتقلصت عضلات بونار وتأهب للعمل .

وما كاد بيسلي يضع قدمه فوق الفتحة ، حتى قال بونار بهدو[ء]

ـ توجد بقعة دم فوق يدك يا بيسلي ، فما مصدرها ؟

ـ ٧ ـ

وثب بونار إلى خارج الفتحة على أثر العبارة التي نطق بها ، و[...] رأى الفزع والذهول يرتسمان على وجه السمسار .

وانطفأ عود الثقاب ، وساد الظلام .

وفي لمح البصر ، كان بونار قد وصل إلى باب الغرفة ، وأغلقه بال[...]

ثم وضع المفتاح في جيبه .

وكان بيسلي يذرع الغرفة ، وهو يتمتم بكلمات تدل على الحنق من بين أسنانه المصطكة ، فقال بونار بلهجة رقيقة :

ـ هدىء روعك يا بيسلي ، فان الانفعال ضار لرجل على شاكلتك ومما يسوءني حقا أن تموت بالسكتة القلبية قبل أن تفضي إلي ببعض الحقائق ، لقد رحلت السيدة التي كانت مسجونة هنا ، فيمكننا أن نتحدث باطمئنان وحرية ، أخبرني كيف لطخت بقعة الدم يدك ؟

فلم يجب بيسلي ، ولكن بونار سمعه وهو يشهق شهقة قوية .

واستطرد بونار بعد هنيهة :

ـ خيل إلي انني سمعت صوتا يشبه صرخة مكتومة منذ بضع لحظات كان يبدو أنها صادرة من الجانب الآخر للفتحة الموجودة في الجدار فما الذي حدث يا بيسلي ؟

فلاذ السمسار بالصمت ، ولكن بونار كان مصرا على معرفة ما حدث وسبب الصرختين اللتين وصلتا إلى سمعه من الناحية الأخرى للفتحة فقد [ك]ان لهما صدى صرخات شخص في النزع الأخير ، وساوره خوف لم [يع]رف له سببا ، وخشي أن يكون زوج مادلين هو صاحب الصرختين ، ولو أنه لم يكن يملك دليلا واحدا على ذلك .

وأخرج بونار مصباحه الكهربائي من جيبه ، وما كاد ضوؤه ينير [أر]ض الغرفة ، حتى دوى طلق ناري ، فضحك بونار ، إذ كان يتوقع [أن] يتخذ بيسلي من الضوء هدفا ، فحرص على ألا يحمل المصباح أمامه

وسمع صوت ارتطام شيء بجدار الغرفة فأدرك أن الرصاصة قد استق
فيه بدلا من أن تستقر في صدره كما اراد السمسار .

وبسط بونار يده التي يحمل فيها المصباح إلى جانبه وراح ب
الضوء في شتى الاتجاهات ، حتى استقر على وجه بيسلي .

وقال : ألق مسدسك يابيسلي . وإلا أطلقت عليك النار .

وشهر بونار المسدس الذي غنمه من بيشو . ولم يكن يعكر
سكون غير انفاس بيسلي الثقيلة .. ثم اردف بلهجة صارمة :

ـ أسرع يابيسلي .

فتردد الآخر قليلا . ولكنه لم يجد بداً من الأذعان . و
بمسدسه إلى الأرض في حنق فتقدم بونار منه بحرص وسأله

ـ والآن اخبرني ماذا حدث ؟

ـ لاشيء . انك مخطيء ياسيدي !

ـ لاتكذب .. لقد سمعت صرختين .. وتوجد فوق يدا
من الدم .

فقال السمسار بلهجة خائفة . دلت على اضطرابه الشديد :

ـ قلت لك انك مخطيء .. إذا كنت حقا قد سمعت صرخ
لا اعرف مصدرها .

ـ إذن ماقصة بقعة الدم التي تلطخ يدك ؟ احسب انك
عنها شيئا ايضاً ؟

فلزم السمسار الصمت .. وراح يتململ من قوة ضوء المصباح

واستطرد بونار : اصغ إلى يابيسلي . يبدو ان في الجدار فتحة خفية ،
وقدر أنك وانت تخرج منها منذ بضع دقائق . فهيا أرني أين هي ؟

فضحك السمسار ضحكة مقتضبة . وقال بوجل :

ـ لنفرض انني اتصلت برجال البوليس تليفونيا . وقلت لهم إن
رسين لوبين موجود في منزلي . الا تظن ان المفتش بيشو سيسره ان
راك مرة اخرى .

لا ريب في ذلك ، ولكن حاول أن تصل إلى التليفون . وسترى .
يا تقدم يا بيسلي ودلني على موضع الفجوة وكيف تفتح .

وسدد مسدسه نحو صدر السمسار . وصوب ضوء المصباح إلى عينيه
نتفض بيسلي ، وقد بهر الضوء عينيه ، ومن ثم تراجع صوب الفجوة
سرية ولم يتوقف حتى التصق ظهره بالجدار .

قال بونار بلهجة آمرة : أين الفجوة ؟! أكبر الظن أنها لا تفتح
بطريقة سرية ، فأما أن تطلعني على هذه الطريقة ، وإلا فالويل لك .

فازدرد بيسلي لعابه بصوت مسموع . ولكنه تغلب على خوفه .
ال بعناد :

ـــ لن أفعل شيئا من هذا .

فقال بونار وهو يلصق فوهة مسدسه على صدره :

ـــ آه أحقا !! إنك مخطئ يا بيسلي ، فستضطر إلى مصارحتي
يقة رغم أنفك .

فانتفض السمسار . واستطرد بونار :

— إنى امهلك دقيقة واحدة للبت فى أمرك .

فأجهم وجه يسلى ، ولكنه قال باصرار :

— إننى أرفض يا سيدى ، هل تظن أنك تخيفنى بمسدسك ... أؤكد لك أنك واهم ، فى استطاعتك أن تقتلنى ، ولكنى لن أ... ما تريد .

سقط فى يد بونار ، فقد رأى فوق وجه يسلى علامات ا... والاصرار الناجمة عن اليأس ، وأدرك ان السمسار على استعداد لأ... يضحى بحياته ولا يطلعه على سر فتح الفجوة السرية .

ولم يخف على بونار السر فى عناد الرجل ، فقد كانت توجد... الجدار أدلة تكفى لشنقه .

ومرت اللحظات ، وكلا الرجلين صامت .

وفجأة ، رفع الرجلان رأسيهما . وأصاخا السمع .

سمعنا صوتا خافتا ، صادراً من الناحية الأخرى للجدار ، ف... يسلى ، وارتسمت علي شفتيه ابتسامة باردة مغتصبة. وما لبث وجه... أصفر حتى حاكي وجوه الأموات . وابتعد عن الجدار كما لو ك... استحال فجأة إلي جمرة نار ألهبت ظهره :

فقال بونار وهو يوجه مسدسه إلى البقعة التي وقف فيها يسـ...

— لا تتحرك من مكانك .

ونظر من طرف خفى إلى الجدار ، وظلت الأصوات ا... تتصاعد بين لحظة وأخرى ، فخدق السمسار فى الجدار بعينين ...

تبرزان من محجريهما ، وانتفض من قمة رأسه إلي أخمص قدميه كأنما يشم خطراً أروع من المسدس الذى يهدده بالموت العاجل .

وفجأة تراجع بونار خطوة إلى الوراء . وافلتت شفتا يسلي صرخة رعب شديد فقد انشق الجدار ببطء وهدوء ، وكان الظلام حالكا خلف الفتحة ولكنهما سمعا صوت شخص يتحرك فى الظلام وأنات تتصاعد فى فترات متقاربة .

وكانت الفتحة قد فتحت تماما فى تلك اللحظة . وظهر علي عتبتها شخص ضغط على زر خفى ، فغمر الضوء الغرفة .

وكان القادم يجر ساقيه جرا ، وما كاد يسلى يراه ، حتى صاح بصوت حاد : لاسكر ؟! لاسكر ؟! إذن فأنت لم .. ؟

فضحك القادم ضحكة مخيفة . لم يسبق ان سمع بونار ضحكة تماثلها حقداً وموجدة .

وعاد يسلى يقول بجدة : لاسكر .. ؟!

فترنح الرجل .. وازاح سترته قليلا .. فرأى بونار قميصه ملطخا بالدم .

وأدار القادم عينيه بين الرجلين ، واستقرتا اخيراً على وجه يسلى وارتسمت فيهما علامات الحقد الدفين .

وهتف بصوت خافت ولكنه يفيض بالألم :

— انك لم تسدد الطعنة يا يسلى ، انظر ، ان المدية لم تصل الى القلب .

على واخرج الأثر مدية ملوثة بالدم من جيبه ، ثم انقض على
السمسار . وهو يرسل من حلقه ضحكة شريرة آثمة .

ووثب بيسلى بعيدا عن الفجوة .. ولا سكر فى اثره .. وكان
الأخير بطعن السمسار استطاع هذا ان يتحاشي الطعنة ، فتدخل بو
فى الأمر ليضع حداً للمطاردة ، ولكن لا سكر كانت قد خارت قوا
فسقطت المدية من يده ، وسقط رأسه فوق صدره ، ثم ترنح قليلا
وهوى فوق الأرض وهو يصرخ صرخة مروعة رددت صدا
جوانب الغرفة .

ومال بونار فوق الأرض . والتقط المدية قبل ان يحدث بيـ
نفسه بأخذها و نظر إلى الرجل الممدد فوق الأرض ، وغمغم بحز

ـ لقد مات !

ورفع رأسه ، ونظر إلى بيسلى الذى كان ينتفض من فرط الخو
ويتمثل فى عينيه المحملقتين فى جثة غريمه نظرة ذهول ويأس ، ثم

ـ من هذا الرجل يابيسلى ؟

فأدار بيسلي بصره إلى بونار ، وقال بصوت أجوف : اسمه لاسـ
وفجأة . تذكر بونار أنه نسى أن يسأل مادلين عن اسم زوجـ
وخشى أن يكون هو الضحية الممددة أمامه ، وأراد أن يقطع الـ
باليقين ، فسأله :

ـ هل هو شريكك ؟

فقلب السمسار شفتيه احتقاراً وقال :

ـ لقد كان شريكى ، ولكن ليس فى أعمال السمسرة ، وسولت له
نفسه أن يمكر بي فجازيته بما يستحق ، لكن ماشأنك بذلك ؟

فتنهد بونار بارتياح ، وتقدم من السمسار ، وقبض على ذراعه ، ثم
دفعه بعنف إلى داخل الفجوة ، فكان اول ماوقع عليه بصره خزانة
كبيرة الحجم .

وخطرت له فكرة ، فشدد الضغط على ذراع بيسلى ، وقال بلهجة
صارمة : انى اعلم ان الرجل حين تصبح المشنقة مصيره المحتوم لايبالى
كثيرا بما يحدث له ولكنى سأعذبك عذابا اليما يتمنى معه الموت السريع
إذا لم تفتح هذه الخزانة فى التو .

فرفع بيسلى رأسه ونظر إلى بونار ، ولكنه ما كاد يرى علامات
الوعيد المرتسمة على وجهه حتى انكمش واضطرب .

واستطرد بونار بنفس اللهجة : اسرع يارجل .

ثم لطمه بالمسدس فى مؤخرة رأسه . فهرول السمسار التعس إلى
الخزانة . وبدا يفتحها بيد مضطربة . واخيرا فتح باب الخزانة .
فقال بونار آمرا : افرغ ادراجها . وحذار أن تحاول التمويه او الخداع
ابدأ اولا بالأدراج التى تحتوى على اوراقك الخاصة .

فشهق . ولكنه انصاع للامر . وفى التو تكدست الأوراق عند
قدمى بونار . ولكنه لم يأبه لها جميعا ، بقدرما اهتم بوثيقة خاصة اخرجها
السمسار من احد الأدراج .

واستوقف بونار بيسلى قائلا : فى هذا الكفاية . لقد عثرت

على ضالتى .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة . ثم اردف :

ـ انى اعرف امرأة ستقضى اسعد عيد ميلاد فى حياتها ، و

المناسبة ان رباط حذائك من نوع فاخر ، وأرجو ان تتنازل بامد

اياه لأشد وثاق يديك ، اما قدماك فسنبحث لهما عن شيء آخر .

لااريدك على ان تهرب قبل ان يأتي بيشو لزيارتك . انه رجل ظريف

حقا ، وسوف تروقك صداقته .

— ٨ —

نظر بونار الي الغلاف المستطيل نظرة رضاء وارتياح ، ثم

به فى صندوق البريد .

كان العنوان المسجل فوق الغلاف مكتوبا بخط يختلف اختلا

عن خط بونار ، ولاعجب فقد استعان هذا بأدوات الكتابة

التى لايستعملها إلا فى المناسبات التى يريد ان يسجل بها رسائل

ارسين لوبين .

وغمغم بجذل : لو كانت الأفكار تقرأ لوددت أن أرى

مادلين عندما تقرأ هذه الرسالة .

وهز رأسه ، ومضى إلى احد الأندية التى اعتاد التردد عليها

المفتش بيشو . ليتناولا طعام الغداء معا طبقا لموعد سابق .

وكان بيشو ينتظر بونار فى غرفة التدخين ، فتصافح الصـ

بحرارة ولكن بونار لاحظ ان صديقه مكتئبا ، فقال له :

ـ مالذى يضجرك ياصديقى ؟ الا تعلم اننا اليوم فى وقفة عيد الميلاد ؟ يجب ان تنسى همومك ، وتشارك الدنيا مرحها وابتهاجها ، هلم بنا إلى غرفة المائدة ، فانى اكاد ان اموت جوعا .

وتناول الصديقان العدوان طعامهما فى صمت . فلما شرعا فى احتساء القهوة ، قال بونار : ماخطبك يابيشو ، هل اقدم ارسين لوبين اللعين اثارة متاعبك من جديد ؟ ليأخذه الشيطان إن كان فعل ذلك حقا .

فغمغم بيشو وهو ينظر إلى بونار نظرة ذات مغزى :

ـ بل ارجو ان أظفر انا به اولا ، لالأنى أحمل له ضغينة او حقدا لقد اسدى إلى اللعين خدمة جليلة ليلة امس .

فقاطعه بونار بسذاجة : أحقا ياعزيزى بيشو !! انك تدهشنى .

فقال المفتش بتلعثم : لقد ضبطته متلبسا بالجريمة . ولكنه استطاع الافلات منى باحدى حيله الجهنمية . ولم يكتف بذلك ، إنما اغتصب مسدسى وقال لى انه سيحتفظ به اللهم إلا إذا أرسلت عشرة فى المائة من قيمته لجمعية الرفق بالحيوان . فهل رأيت وقاحة كهذه ؟

فقال بونار بحماسة : ياللعين !! وهل أرسلت النقود ؟

ـ كلا . لقد تلقيت المسدس بالبريد صباح اليوم ، ومعه رسالة لوبين يقول فيها انه عدل عن رأيه ، رغبة منه فى ألا ينكد على عيد الميلاد . وتنازل عن الشرط الذى فرضه على .

فابتسم بونار ابتسامة ذات مغزى ، وقال : وما قصته يابيشو ؟

— حسنا لقد اتصل بي مجهول تليفونيا في ساعة مبكرة من صبا
اليوم ودعاني إلى الذهاب الى منزل يسلي في التو . فلما صعدت إ
الطابق الثالث ألفيت يسلي ملقى فوق الأرض وهو مشدود اليد
والقدمين ، وفي الغرفة المجاورة عثرت على جثة رجل ميت .

— رجل ميت !

— نعم . اسمه لاسكر ، وقد كان صديقا ليسلي ، ولكن
اختلفا ، فتشاجرا . اقول لك الحق يابونار انني دأبت على مرا
يسلي في الفترة الأخيرة ، فقد تبين لي انه يربح مالا كثيرا لا
وحالته العملية . وهذا سبب وجودي في حانوت لينوريان امس .

وكف بيشو عن الكلام ريثما يلتقط انفاسه . ثم استرسل :

— لقد تبادر إلى ذهني منذ عدة شهور ان يسلي يتخذ من عمله
يخفي وراءه طبيعة عمله الحقيقي وهو التجارة في الأمتعة المسرو
وليلة امس عثرت على الدليل الذي أبحث عنه ، فقد اتخذ ي
ولاسكر من احدى غرف الطابق الثالث مخزنا لبضاعتهما المسر
وهذه الغرفة خالية من النوافذ و الأبواب . ولكن يمكن الدخو
من فجوة سرية في الجدار .

وعندما دخلت الى هذه الغرفة ليلة امس . رأيت بها خزانة
كانت مفتوحة وبعض ادراجها مشحونة بالجواهر النفيسة المس
التي ابلغنا اصحابها بفقدانها ، وكان يسلي ولاسكر يحتفظان ب
هذه الخزانة حتى تتهيأ لهما فرصة بيعها بربح مناسب .

قال بونار :

— ولكن إذا كان صحيحا ان يسلي يتاجر في الجواهر المسروقة فلماذا ذهب إلى حانوت لينوريان وابتاع العقد الثمين ؟

فعقد بيشو مابين حاجبيه . ثم اجاب :

— لقد علمت ان شراء العقد كان صفقة متفقا عليها من قبل ، ويبدو ان يسلي كان يرتاب في انني اراقبه ، فابتاع هذا العقد ذرا للرماد في عيني ولست اكتمك انها كانت حيلة بارعة كادت تنجح .. فقد بدات تساورني الريبة في الأمر . ولم اجد مايدعوا رجلا يتاجر في الجواهر المسروقة لشراء عقد ثمين بمبلغ كبير ، ومن ثم ظننت انني اخطأت في حق الرجل وبهذه المناسبة .. لقد كان لوبين يحمل العقد الثمين في جيبه عند ما فاجأته ليلة امس في منزل يسلي .

فصاح بونار وهو يتظاهر بالدهشة الشديدة :

— ماذا تقول ؟

وأردف بيشو بلهجة تنطوي على مغزى خاص :

— لقد رأيتك أمس في حانوت لينوريان في اللحظة التي كان يسلي يشتري العقد .

— هذا صحيح .. يبدو أن المسألة مجرد مصادفة عجيبة .. أليس كذلك ؟ لا أحسبك تريد ان تقول ..

وامسك عن الكلام .. ونظر الى صديقه بهدوء .. فقال بيشو:

— كلا .. انني لا افترض شيئا .. مهما يكن . فقد عثرت على

العقد بين الجواهر الأخرى فى خزانة يسلى .. ويبدو ان لوبين ا
يحتفظ به طويلا .

فسأل بونار مغيرا مجرى الحديث :

ـ وماذا كان سبب الخلاف بين يسلى ولا سكر ؟

ـ يبدو أن يسلى خشى مغبة الانجار فى الجواهر المسروقة . فل
عرف لاسكر بعزمه على وقف الشركة . هدده بفضح أمره فبدأ القلق
يساور يسلى .. وزاد قلقه ليلة أمس .. إذ يظهر ان احدى النساء
ترددت على منزله فى تلك الليلة واخذت تعبث بأوراقه . فارتاب فى
أمرها ، وحسبها إحدى نساء البوليس .. اما من كانت وماذا كان
تصنع فى منزل يسلى فذلك ما لا علم لي به .. بيد انها ارسلت القلق
فى نفس الرجل .. فاعتزم التخلص من لاسكر قبل ان يشى به
فصعد اليه فى الغرفة السرية ، وقتله دون أدنى انذار .. اما ماحدث
بعد ذلك فيعرفه لوبين جيدا ، واكبر الظن انه وصل إلى مسك
الجريمة متأخراً .

وتوقف بيشو عن الكلام وهو يطيل النظر الى وجه صديقه
ثم استطرد بعد هنيهة :

ـ اظن انك تستطيع ان تطلعنى على ماحدث بعد ذلك يابونار .

فضحك بونار وهتف : انا ؟ ! ياله من خاطر مضحك يابيشو

ـ إضحك ما شئت .. على العموم .. انى مدين للوبين ب
واحد .. ذلك انه كان من المحتمل ان يرتكب يسلى جريمة اخ

ويلوذ بالفرار لولم يتدخل لوبين فى الأمر .

ـ ومع ذلك فأنت لاتزال ناقما على هذا المسكين .

فصاح بيشو بحدة : ولم لا . ؟ الم يسخر منى على طـول الخـط
ويجعلنى اضحوكة فى أعين الجميع ؟

فابتسم بونار .. وقال : اتمنى لك التوفيق ياصديقى .

القسم الثاني

المحتال الأنيق

صاحت الواز هامبدن :

ـ يالها من ليلة !

فقال باسيل فالنتين :

ـ يسرنى أنها اعجبتك . لقد أعددتها خصيصا لأجلك .

وفتل شاربه المعطر . وأرسل بصره فى أرجاء الحديقة المترامية .
كانا يقفان فى شرفـة منزل مسز نيـكولسون . بينما كانت نغمات
الأوركسترا تصدح فى الداخل فى اتساق وهدوء

غمغمت الفتاة :

ـ أليس القمر ساحراً ؟ انه كقطعة من الفضة فى حديقـة .

فقـال فالنتين ممازحا :

ـ ان جمال القمر لا يحاكي جمالك ياعزيزتى .

فضربته برفق بمروحتها المصنوعة من ريش النعام فوق كتفه وقالت :

ـ يالك من منافق ! !

- اذا اردت الحقيقة المجردة .. فاعلمي انني لم آت بك الى الشر...
لأغدق عليك المديح .
فالتفت اليه الواز مأخوذة . وهتفت :
- أحقا ؟!
كانت آية في الجمال . عينان خضراوان واسعتان يظللهما حاجبا...
رفيعان . وانف دقيق مستقيم . وفم يغري بالتقبيل . وبشرة نا...
خمرية اللون . وقوام كقوام فينوس وبالجملة كانت زهرة متفتحة الأك...
وكان وجهها قد اصفر قليلا عقب سماعها عبارة فالنتي...
فاستطردت بلهفة :
- إذن ماذا ..
فقاطعها باستخفاف :
- المال !!
- ماذا تقول ؟ اتريد مالا ايضا ؟
- نعم .. اريد مالا .
وضحك بمرح . وقد حسب انه باناقته المفرطة . وملاحة وجه...
سيستطيع أن يملي إرادته على الفتاة ويرغمها على إجابة مطالبه .
إستطرد بعد هنيهة :
- نعم .. انني اعاني ازمة خطيرة ياالواز
واشعل لفافة تبغ .. واستند على أحد أعمدة الشرفة .
وقالت الفتاة بعد هنيهة بصوت عميق : لم ينقض بعد غير اسبو...

على آخر ازمة طاحنة كنت تعانيها .
- لا تغضبي ياالواز .. ولا تعبسي ، لأن العبوس لم يخلق للوجوه الجميلة والبشرة البضة .
فرفعت عينيها اليه .. وابتسمت .. ولكن ابتسامتها كانت تشف عن القلق والحيرة .
- ما خطبك ياباسيل ؟ ارجو الا تكون الأزمة مستحكمة
نفث باسيل الدخان من فمه .. ونظر الى القمر هنيهة ، كأنما يستلهم منه الوحي .. ثم قال :
- انك تحبين زوجك ياالواز .. اليس كذلك ؟
- إن جورج يحتل كل قلبي .. بالطبع احبه .
- ومع ذلك فانك مغرمة بي .
- انك صديق عزيز .. وانا احبك كثيرا .
فابتسم ساخرا .. وغمغم : انى اصدقك . فما من فتاة تستحيل الى لصة من اجل رجل اللهم إلا إذا كانت تحبه كثيرا .
- لصة !؟
- بالطبع ياعزيزتي .. لقد جئتك منذ اسبوعين ، وتوسلت اليك بحق الأيام الغابرة ان تقرضيني ثلاثة آلاف من الجنيهات . وكنت يائسا . ولم اجد من ألجأ إليه . وما من رجل يرضى اذلال نفسه . والاقتراض من فتاة . لكن للضرورة حكمها . كان من المحتمل ان يصم زوجك اذنيه دوني ، فأنت تعلمين انه يكرهني ؛ لأنه يعلم ان

ثم علاقات قوية بينك وبيني . وادركت ان احـدا من اصـدقائي لن يقبل اقراضي مثل هذا المبلغ الـكبير . ومن ثم سحقت كبريائي امامك وتوسلت اليك ان تنقذيني ، وانا اعتقد انه في استطاعتك ان تحصلي على المبلغ بسهولة . لـكن لم يخطر ببالي قط انك ستسرقين .

ـ أسرق ؟!

وغطت الفتاة وجهها بيديها . وانتفضت دلالة على الجزع . فأغرق فالنتين في الضحك .. وهتف : أليست كلمـة ممقوتة ؟! انها عـلى كل حال تنطبق على الواقع . لست اكتمك انني ذهلت عندما جئتني في صباح اليوم التالي على لقائنا الأول ، ومعك المبلغ نقدا ، ووثيقة رهن توضح انك استوليت على قسم من جـواهر عمتك نيـكولـون التي تحتفظ بها في خزائنها . ورهنتها عند احد المرابـين . وبالطبع كانت دقة مركزي تمنعني من الاعتراض . فأخذت منـك المـال برغم علمي انك حصلت عليه من هـذا الطريق الشاذ

ـ باسيلي !!

وأفلتت شفتا الفتاة صرخة ذعر .. واردف فالنتين .

ـ نعم . كان المبلغ رهنا لجواهر مسروقة . أو على الأقل هذا هو التعبير القانوني فلماذا اللف والدوران ؟!

فشهقت الفتاة شهقة حادة .. ثم تراجعت خطوة إلى الوراء وغمغمت

ـ باسيل ! لست افهم ما تعني . ان لهجتك . وكلماتك ..

ـ لقـد حان الوقت ليفهم كل منا صاحبه ياعزيزتي ، وينبغي

يفهم كلانا ما يدور بخلده بصراحة وصدق ، أعود فاقول أنك أعطيتني ثلاثة آلاف من الجنيهات ووثيقة رهن ، وطلبت إلى أن استعيد الجواهر عندما تتهيأ لي الظروف الملائمة ، واعيدها اليك . وقلت انك لاتريدين التدخل في هذه العملية لأنك تتضجرين من التعامل مع المرابين .

حسنا ، انني لم استرد الجواهر بعد ولو اني كنت اتوقع ان اتمكن من ذلك خلال بضعة ايام ، ولـكن ظروفا سيئة طرأت على الموقف زادته سوءا ، ولم احصل على المال المنشود ، واعتقد ان عمتك لم تـكتشف بعد ضياع هذا الجزء من جواهرها ، أليس كذلك ؟

فهزت الفتاة رأسها سلبا . ولم تجب .

فاستطرد فالنتين . هذا من حسن الحظ . بالطبـع . ان مسز نيـكولـون تملك مجموعة كبيرة من الجواهر حتى ليندر ان يسترعى ضياع ست او سبـع قطع منها التفاتها مباشرة ولـكن على العموم ينبغي ان تخفي اثر السرقة في اسرع فرصة .

فغمغمت الفتاة من بين اسنانها : السرقة ؟! إني لاافهمك ياصديقي . إنك لم يسبق ان تحدثت إلي بهذه النغمة . لم تـكن هناك سرقة . فانا لم اسرق شيئا البتة لقد اخبرتني ان موقفك شديد السوء فشعرت بالعطف عليك . واردت مساعدتك . إذ مامعنى الصداقة إذا لم يمد احدنا إلى الآخر ساعده وقت الضيق ؟! ذلك كان شعوري . وهو مادفعني إلى رهن الجواهر .

فقال الآخر ساخراً : جواهر من ؟

ـ جواهري .. او انها في حكم جواهري .

فضحك فالنتين ضحكة مرحة . وهتف :

ـ عندما تؤخذ المسالك على المرء . ويستعصى عليه إيجاد المخرج، يتعذر عليه ان يفرق بين الطرق والوسائل. صحيح انك الوارثة الوحيدة لجميع املاك عمتك مسز نيكولسون . بما فيها مجموعة جواهرها الثمينة ومن حقك المطالبة بها او بجزء منها . ولو الى حدما . فاذا فقد منها شيء.. فالخسارة خسارتك . ولعل هذا هو ماجال بخاطرك عندما رهنت بعض قطع الجواهر . لكن هذا لاينفي عنك تهمة السرقة. ثم ان (السرقة) هي الكلمة الوحيدة التي تنطبق على مافعلت . برغم إيلامها النفس وطالما ذهب كثيرون الى السجن لتهم اقل من هذه كثيرا

ما كاد فالنتين يفرغ من حديثه . حتى تراجعت الفتاة متذعرة الى الخلف . وقالت بصوت اجش ينم عن المقت الشديد :

ـ لقد غاب عنك اني إنما فعلت ذلك من اجلك . ولم اكن اعتقد اني ارتكبت شططا . اذ كنت متلهفة على مساعدتك . وظننت انه من واجبي .

فصاح فالنتين ساخراً : واجبك ؟ هذا بديع !

ـ كيف تجرؤ على التلفظ بهذه العبارات الساخر ياباسيل ؟

ـ الم انبهك الى اننا ينبغي ان نتحدث بصراحة ؟ لقد تنكرت لي منذ اربعة اعوام . وتزوجت من جورج هامبدن . برغم الاختلاف العظيم بين ميولكما . ومنذ ذلك الحين وانا اتردى في الهاوية . ولولاك

وفقت في التظاهر بمظهر المترف المنعم . وكنت انت فقط تعرفين الى اي درك انحدرت . ولما كانت طبائع الناس تنفر من سقوط رجل كان محبوبا منهم من قبل . فقد آلمك سقوطي . وهو ماعبرت عنه بلفظة (الواجب) أليس كذلك ؟

فمشت الفتاة براحة يدها فوق جبهتها . وادركت المعنى البعيد الذي كان فالنتين يرمي اليه .

واما هو ، فالقى بلفافة التبغ في الحديقة .وراح يرقبها وهي تنطفىء واخيرا ضحك ضحكة صفراء . وصاح :

ـ اني محتفظة بوثيقة الرهن . وهذه الوثيقة تكفي لاثبات ذهاب الواز هامبدن الي جانب حانوت جاكوب شايرو منذ اسبوعين تقريبا حيث رهنت لديه خمسة خواتم وعقداً من اللؤلؤ. علي مبلغ ثلاثة آلاف من الجنيهات . لقد ارتكبت خطأ جسيما ياعزيزتي . إذ كان ينبغي الا تذكري للمرابي اسمك الحقيقي في مثل هذه الظروف . لكن. لاعجب فما زلت فتاة طائشة .

فغمغمت الفتاة : ماذا . ماذا تعني ؟

فضحك فالنتين . وقال :

ـ الا تعتقدين ان عمتك الارستقراطية سترغي وتزبد حين ترى الوثيقة الصغيرة ؟ صحيح ان كرامة الأسرة ستحملها على التساهل . ولكنك لن تسلمي من لسانها وتعنيفه. وليس هذا هو اسوأ ما في الموقف

وتمهل قليلا كأنما ليترك للفتاة التعسة ان تستوعب كلماته .ثم استطرد :

ـ وهناك زوجك جورج. سوف تعصرين ذهنك عصراً حتى توفقي إلى اقناعه بان غرضك من رهن الجواهر كان شريفا .

فتقدمت الفتاة من محدثها . وقالت بضراعة :

ـ باسيل . ماالذى دهاك ؟ انك ترمى إلى عرض بغيض. فماذا تقصد؟

ـ أوه . انى انما أقرر حقائق ثابتة ملموسة مدعمة بالبرهان : ان زوجك رجل شديد الريبة ، وهو لا يختلف عن بنى جنسه ، ولما كان يعلم انى كنت معجبا بك فى غابر الأيام فان ذلك سيسيء الى موقفك كثيرا حياله ، خاصة إذا وقعت وثيقة الرهن فى يديه . صفوة القول انها ستعقب كارثة .

فزفرت الفتاة زفرات حرى من قلب مكلوم . وقبضت على يده وهتفت:

ـ يا إلهى ! لا أحسبك ستصارح جورج بالحقيقة ؟

ـ كلا . اللهم إلا اذا أرغمتنى على ذكرها .

فقالت محيرة : اللهم . لكن إذا أرغمك ؟إن هذا آخر ماأفكر فيه

فقال بصوت خافت : إذن . اصغى الى . انى يا فتاتى أعانى أزمة مالية أخرى طاحنة بل لعلها اسوأ الأزمات التى مرت بى . ولكي أنجو من نتائجها السيئة ينبغى أن احصل على ستة آلاف من الجنيهات ليلة الغد على أكثر تقدير .

فصرخت الفتاة صرخة تنم عن الفزع . وحدقت فى وجهه مشدوهة فقال هذا :

ـ لا تنذعرى يا عزيزتي . فان المسألة هينة . على كل حال ، أعود فاقول انى ان لم أحصل على هذا المبلغ الى مساء الغد تحطمت وانكشف امرى .

فتمتمت بصوت أجش : انكشف أمرك ؟

ـ نعم . وسوف يدهش ذلك الكثيرين ، فقد كان الجميع يعتقدون انى رجل واسع الثراء . ولكنك تعلمين الحقيقة . انى رجل فقير لا يملك شروى نقير . فاذا لم أحصل على المبلغ المطلوب فقد ينتهى بي الأمر الى السجن

ـ السجن ؟ أواه يا باسيل !

ـ كل هذا من اجل مبلغ حقير . ان العقد الذى تتحلى به عمتك الليلة تزيد قيمته كثيرا عن المبلغ الذى اريده . ومن العار ان تتحطم حياتي من اجل هذا المبلغ الصغير . وليس هذا هو كل شيء . فقد يتناثر اليك شيء مما سيحل بي ، خاصة إذا ذاع سرك. وعندئذ يسوء موقفك جدا حيال زوجك فماذا تفعلين ؟

اخذت الفتاة تفرك يديها جزعا . ولم تسعفها ذاكرتها بالاجابة. فاستطرد فالتثين برفق :

ـ انى واثق انك لن تتركي الأمور حتى تتحرج الى هذا الحد. ساعديني فى التغلب على هذه الأزمة فلا تفتقدى الأمور . وسوف اعيد اليك جواهر عمتك . وأبدأ حياتى من جديد بعقل وشرف ولكن ينبغى ان تعملى . وفى التو .

فرمقته الواز بنظرة تنطوي على الأسى الدفين . وانتفضت بشدة
وسألته باعياء :
ـ ماذا تريدني على ان اصنع ؟
فأشعل لفافة تبغ جديدة . واجاب :
ـ لقد قلت لك منذ لحظة انّ العقد الذي تتزين به عمتك يساوي اكثر من سته آلاف جنيه .
فشهقت الفتاة شهقة قوية . ثم رمته بنظرة تنطوي على الازدراء وصاحت :
ـ لقد فهمت انك تريد ان تحتال علي ! كنت اظنك ! يا إلهي ! إذهب ! اذهب في التو ! . أوه
فانحنى فالنتين لها انحناءه تدل على السخرية وقال :
ـ على رسلك . لكن تذكري ما قلته لك . أن عمتك في كفة الميزان. ففكري جيدا قبل ان لا ينفع الندم .
وانحنى لها ساخراً . ثم اختفى داخل المنزل .
ومالت الواز الى الخلف مستندة الى احد الأعمدة . واستغرقت في التأمل
وانها لكذلك إذا بها تسمع صوتاً هامساً يهتف بها :
ـ لاتنزعجي .
ورأت امامها شبح رجلا مقبلا من احد اركان الشرفة الفسيحة فانتفضت .

غمغمت باعياء :
ـ أهذا انت يا دكتور بونار ؟!
فانحنى لها بونار باحترام . وحدق في وجهها متأملا . واجاب :
ـ من حسن حظي أن اجدك على إنفراد يا سيدتي . فقد اردت ان اتحدث اليك حديثا خاصا . كنت اترقب الفرصة طوال الوقت
فأجابت بغير اكتراث :
ـ احقا ؟ ماذا تريد يا دكتور بونار
ـ كنت اريد أن اقول ان عمتك تحتاج الى تحذير . ومن المحتمل الا تقبل تحذيرا مني . بينما يختلف الأمر تماما إذا صدر التحذير عنك
ـ اى تحذير تعني ؟
ايها تتقلد جواهرها دون الاهتمام بقيمتها. خاصة العقد الذي تزين به جيدها . انه قطعة نادرة . وقد يغري شخصا على إختطافه
فهتفت الفتاة مأخوذة :
ـ تعني يغري شخصا على سرقته !
فأومأ بونار برأسه بتؤدة ، فسألته :
ـ هل تعتقد انه يوجد بيننا لص ؟!
ـ هذا محتمل . فان عدد المدعوين يربى على السبعين . وفى مثل هذا العدد يحتمل كثيرا وجود لص واحد على الأقل ، من يدري ، لعل أرسين لوبين موجود هنا الليلة !
فهتفت الفتاة : يا لها من فكرة !!

- لانه يستعصي على هذا الشيطان ، ان مثل هذه الحفلات هي خير المسارح لارتكاب سرقاته ، ولست أشك لحظة فى ان عقد مسز نيكولسون سيلفت نظر هذا اللص الداهية .

فأطالت الواز النظر إلى وجه محدثها ، كأنها تريد أن تستشف من ملامحه المعنى المستتر الذى يرمى اليه . ولكن الظلام كان كثيفا فلم تر وجهه بوضوح . فقالت :

- على كل حال ، لم أر شخصا مريبا بين المدعوين .

- ومن قال ان ارسين لوبين يبدو شخصا مريبا ؟ ان احدا لايعرف شيئا عنه ، ويقال انه ثرى انيق ، يلهو بسرقة امتعة الغير ويشترط لاعادتها ان يتبرعوا بعشر قيمتها لاحدى الجمعيات الخيرية ، ومن ذلك تعلمين انه ليس من طراز المجرمين الخطيرين .

- لكن لا احسبك ترمى إلى انه موجود فى حشد جامع كهذا ؟

- ولم لا ؟ من المحتمل كثيرا ان يكون احد المدعوين . ومن يدرى فقد اكون انا ارسين لوبين ، وانفجر ضاحكا كأنما سرته النكتة . واستطرد :

ما زلت مصراً على انه ينبغى تحذير عمتك .

فقالت الواز كاذبة : سأتحدث اليها فى هذا الشأن ؟

وفى التو القى بونار اولى قنابله . قال : ان باسيل فالنتين محتال نذل .. اليس كذلك ؟

- هل .. هل سمعت .. ؟

- نعم . سمعت كل شيء ، ولست آسفا على انى استرقت السمع .

- ولكن هذا تطفل .

- بالطبع . لكنى اريد ان اكون صديقك .

- هذه بداية سيئة !

قد يتهذب خلقى بالمران ، والآن تشجعى يامسز هامبدن . فان الأزمة لم تسوء الى الحد الذى يوجب اليأس . صحيح انك ارتكبت هفوة ولكنك كنت مدفوعة بعامل النبل والشفقة ، وما فالنتين الا شخص داهية شديد الخطورة فقدعرف كيف يستغل نبل عوطفك ويستميلك إلى تحقيق اغراضه الأثيمة باناقته ونعومة الفاظه .

- بالله عليك لا تغررنى . فما انا إلا .. لصة ..

فهتف بونار بحماس : بل انت ملاك وقليلات هن أولئك اللاتي على شاكلتك . دعينا من ذلك الآن ، ولنفكر فيما يحسن بنا عمله . هلمى بنا إلى مكان منعزل .

فضحكت الفتاة برغم ارادتها . ووقع اختيارها على غرفة المكتبة لبعدها عن المكان الذى اقيمت فيه الحفلة .

وبعد ان اخذ كل منهما مجلسه ، افتتح بونار الحديث بقوله :

- اعتقد ان فالنتين صرح لك بالحقيقة ، انه مهدد بالخراب والافتضاح وهو من النذالة بحيث لن يتورع عن تشويه سمعتك إذا لم تسعفيه بالمبلغ الذى سألك ان تقرضيه حتى مساء غد . ومن الطبيعى فى مثل هذه الحالة ان يزداد موقفك سوء أمام زوجك .

فعبست الفتاة . وبدا عليها الأسى ، وعندئذ هتف :

ـ لا تيأسى ياعزيزتى ، اننى انما اذكر هـذه الحقائق لتواجه الموقف على ضوئها . ومن الحكمة ان نقرر مبدئيا ان فالنتين يحتمل المركز الأول فى المؤامرة . اعنى . ان مركزه يخول له البدء فى العمل وهو لن يتـوانى عن انفاذ خطته إذا خذلته ، فينبغى اذن ان ننتصر عليه بمقابلته بالمثل .

فارتسمت على شفتى الفتاة ابتسامة شكر ، وهمست :

ـ انك طبيب القلب يادكتور بونار .

ـ اوه ! كلا انى فى موقف يشابه موقفك إلى حدما فقد تحطمت حياتى ذات يوم . وما زلت حتى الآن احاول اقامتها من جديد .

وتمهل هنيهة . كأنما ليختار الفاظه ثم استطرد :

ـ فهمت من حديث فالنتين ان الأشياء المرهونة عبارة عن خمسة خواتم وعقد من الماس ، واعتقد انه من المستحيل ان تتمكنى من استعادتها .

ـ نعم هذا مستحيل تماما .

ـ وعلى فرض انك استطعت استعادتها فانها لن تحل المشكله . ان بطاقة الرهن فى حوزة فالنتين،وليس فى وسعنا ان نمنعه من الكلام بالطبع فى استطاعتك ان تصارحى حماتك بكل شيء وتطلبى صفحها .

ـ انك لاتعرف حماتى جزليا . هى ليست من النساء اللاتى يصفحن

ـ يجـوز وعلى كل حال . ان حماتـك عنصر ثانوى فى المأساة .

وزوجـك ..

فشهقت الواز شهقة حادة .. واغمضت عينيها جزعا .. فسألها بونار برفق :

ـ لنفرض انك اطلعته على الحقيقة .. فهل تعتقدين انه سيقـدر موقفك ويصفح عنك ؟

فقالت بعـد تفكير يسير : ربما يصفح .. ولـكنى أشك فى انه سيقدر موقفى .

فأومأ بونار برأسه .. وقال : اعتقد انك على حق . فان الأزواج قلما يصفحون فى مثل هـذه الظروف .. فكلما زاد حبهم لزوجاتهم .. زادت حساسيتهم .

فاردفت الواز : بل ان ذلك يؤلمه أشد إيلام .. واعتقد ان حياتنا ستنقلب رأسا على عقب إذا افضيت اليه بالحقيقة .

ففكر بونار هنيهة ثم قال : إذن فاما ان تذعنى لمطالب فالنتين أو ..

فصاحت بشجاعة : مستحيل !! مستحيل أن افعل شيئا من أجله بعد ان عرفت مبلغ نذالته .

فأومأ بونار برأسه مؤمنا . وقال : إذن فلم يعد هناك غير سرقة بطاقة الرهن منه .

فاعتدلت الفتـاة فى مجلسها ، ونظرت إلى بونار غير مصدقـة .. فقال هـذا :

ـ إن بطاقة الرهن هى حجر الزاوية فى الموقف . فيجب ان نخفى

من حوزته . لكن هذا لا يكفي . لأن فالنتين سيغضب ويثور عندما يتأكد من انك افسدت عليه مؤامرته ، ويحاول الثأر منك باحاطتك بسيل من الأشاعات والأراجيف المقوتة .. وهذا ما يجب أن نحول دون وقوعه . ويجب ان نضربه الضربة القاضية بحيث لا يجرؤ على فتح فمه مستقبلا .

— فقالت : وكيف ذلك ؟

فارتسمت على شفتي بونار ابتسامة غامضة . ونهض واقفا . ثم اجاب :

— دعي ذلك لي .. واما الآن فعودي إلى المرقص خشية ان يفتقدك زوجك فلا يجدك .

فنهضت ، وبسطت له يدها ، وابتسمت ابتسامة عذبة . وقالت :

— انك صديق وفي يا دكتور بونار ، لقد ارحتني من حمل باهظ كان يرهق كاهلي .

ثم انصرفت من الغرفة .

وبقي لوبين في الغرفة بمفرده بعد انصراف الفتاة . ونظر إلى ساعته ، فالفاها قد جاوزت الحادية عشرة بقليل . وعندئذ ايقن انه مازالت أمامه ساعتان او ثلاث للعمل فاشعل لفافة تبغ ، وراح يفكر ؟

كان قد حسب بادىء الأمر ان عدوه اللدود ، وصديقه الصدوق المفتش بيشو لن يأتي إلى هذه الحفلة ؛ ولكنه استطاع ان يلمحه — ولو انه لم يره تماما — عدة مرات اثناء الحفلة . ولكنه لم يأبه لذلك كثيراً نظراً لأنه لم يكن يبيت سراً ، لكن مادام الموقف قد تبدل الآن

فلا بد إذن من التزام الحذر .

وانه لكذلك مستغرق في التفكير ، إذ فتح باب المكتبة بهدوء ونفذ منه باسيل فالنتين ..

فابتدره بونار قائلا برفق : اهذا انت يافالنتين ؟ لماذا لا ترقص ؟

فهز الآخر كتفيه واجاب : لاتوجد بين كل هاته النسوة من تجيد الرقص . فهن جميعا كالتماثيل المتحركة .

— هذا شيء يؤسف له . وبهذه المناسبة اكنت تبحث عن احد ؟

— لا أحد بالذات .

فقال بونار وقد ساورته الريبة في ان المحتال يبحث عن الواز هامبدن :

— إذن اجلس ودخن لفافة تبغ ، فقد كاد السأم يقتلني .

فجلس فالنتين في تعاظم واعتداد ، وقبل اللفافة التي قدمها اليه بونار ، واشعلها ..

سأله بونار : مارأيك في الواز هامبدن ؟ كنت اعتقد انها راقصة بارعة . الم تراقصها مرتين هذا المساء ؟

فاجاب فالنتين باحتقار :

— أوه ؟ ان المرء يضجر بسرعة من مثل اولئك النساء .

فوضع بونار يده في جيوبه . وقال :

— يخيل الى انها على جانب عظيم من الجمال والجاذبية .

فابتسم فالنتين ساخرا وقال بازدراء :

- إذن لماذا لا تخطب ودها ! ان زوجهـا اعمى . واما انا فـلا
تعجبني الفرائس السهلة ؟
- ماذا تعني ؟
- إن لك عقلا يفـكر . اليس كذلك ؟ حسنا . استعمله .
فسحب بونار يده اليمنى من جيبه . فاذا بهـا مقبوضة . وعبس
وجهه فجأة ، ولـكنه مالبث ان تغلب على انفعاله . وقال بهدوء :
- قف يافالنتين !
- ماذا تقـول ؟
ارجوك ان تتكرم بالوقوف على قدميك .
فنظر اليه فالنتين مشدوها . فاستطرد بونار موضحا :
- اظن انك تعلم انه من المتعذر لطم رجل وهو جالس . ولهـذا
اريدك على ان تنهض .
فصاح فالنتين بتعجب : هل جننت ! لماذا تريد لطمي !
- لأنك وغد اثيم .. بل اشد الأوغاد الذين قابلتهم خبثا وسـوء
طوية .. انك شرير وقح .. لاتذكر إسم إمرأة إلا مقرونا بالاكاذيب
والاشاعات الباطلة .. وقد اصبحت عادة لديك . حتى بت امقتك ..
وضاقت نفسي بأباطيلك
فقال فالنتين باحتقار :
- آه .. ! قـد فهمت ! انك مغرم بالواز هامبـدن . لـكني لم
اشتجر معك من اجلها ، لأن الأذواق تختلف . فاذا كانت امرأة من

هذا الطراز تروق في عينيك فاني ..
ولم يترك له بونار فرصة الاسترسال . فقد وثب واقفا على عجـل
ومد يده فجذبه بعنف ، واوقفه على قدميه على بعد نصف ياردة منه
وحدق في وجهه بعينين يتطاير منهما شرر الغضب .
وصـاح :
— هل ستقاتل أم تجبن !
فبدأ الاضطراب على وجه فالنتين . وصعد بونار بنظرة ساخرة
ثم هوى على وجهه بيده .
فضحك بونار . وهتف :
— بديع يافالنتين . انك تدهشني، لـكن خذ .
ولطمه فوق أنفه بقبضة يده . فانفرجت شفتـا فالنتين عن آهة
تدل على الألم الشديد المقترن بالغضب الجامح . وحدق في وجـه
بونار بنظرة تدل على الشر . ثم وثب فجـأة جانبا . وتناول أحـد
المقاعد ، ورفعه فوق رأسه ، ثم قذف به غريمه بعنف .
ولـكن بونار استطاع ان يتفادى المقعد بخفته المأثورة . فسقط
المقعـد فـوق الأرض واحـدث سقوطـه دويا هائـلا ، لولا نغمات
الاوركسترا المرتفعة لتردد صداه في اوجاء القصر .
وفي نفس اللحظة انقض عليه بونار وعاجـله بلـكمة جبارة فوق
فكه . فترنح فالنتين . ثم هوى على الأرض فاقد الوعي .
ولم يكن بونار يرغب في القضاء على الرجل . ولكنه لم يتمالك

نفسه ساعة الغضب . ومن ثم ركع بجواره . وجس نبضه . فأيقن أن اغماءه لن يطول .

وحينئذ راح يفتش جيوبه . وسرعان ماعثر على حافظة أوراق جلدية أنيقة . وما كاد يفتحها ويقلب ما بها من أوراق . حتى عثر على وثيقة الرهن المنشودة .

وأعاد بونار الحافظة إلى مكانها . واحتفظ لنفسه بوثيقة الرهن ثم قهقه ضاحكا ونهض واقفا على قدميه . ثم دق الجرس .

وقابل أحد الخدم فى التو . فقال له بونار :

— لقد اصيب مستر فالنتين بنوبة اغماء ، فجئنى بقدح من الماء .

فنظر الخادم الى محدثه مشدوها . ولكن بونار تجاهل فزع الخادم ، وغادر الغرفة بهدوء تاركا فالنتين مهمة إيضاح الموقف كما يروقه ؟

لقد ظفر به فى الجولة الأولى .

كان فى استطاعته ان يعيد الجواهر المسروقة إلى الفتاة ، ويقنعها بان تعتبر المبلغ دينا خاصا له عليها ، ولكن هذا الحل لا يكفى لانقاذ الموقف ، فهى ولا شك قد وقعت على سجل المرابى يوم رهنت له الجواهر ، وما كان ذلك كافيا لارغام فالنتين على التزام الصمت التام وإذن فلا بد من البحث عن وسيلة فعالة للوصول إلى نتيجة حاسمة .

وعاد بونار إلى المرقص وهو يفكر فى حل لهذه المعضلة ، وكان الرجال والنساء قد وقفوا صفوفا متقابلين ، استعدادا للقيام برقصة

حديثة فعندما تعزف الموسيقى يتقدم الرجال من النساء ، ويختار كل منهم شريكته فى الرقص .

وانضم بونار الى الرجال . وما كاد الاوركسترا يبدأ العزف . حتى اتجه بونار الى الواز هامبدن وطلب اليها الرقص .

سألته متلهفة : هل رأيت مستر فالنتين أخيرا ؟

— تركته فى غرفة المكتبة منذ بضع دقائق .. كان .. مغمى عليه

فرمقته بنظرة متسائلة محيرة .. ولكنها لم تستطع استئناف حديثها ذلك لأن رئيس الأوركسترا . اتى بحركة من يده تحتم على الرجال ان ينفصلوا عن النساء ، ويستأنف الرقص متجاورين .

وكانت مسز نيكولسون ترقص مع رجل قصير القامة ، تنم تقاطيع وجهه عن انه اجنبي .. ونظر بونار إلى العقد الذى يزين جيد مضيفته ولم يتمالك أن هز رأسه اعجابا وتقديرا .

مضى بونار إلى الشرفة ليدخن لفافة تبغ . ثم عاد إلى المرقص بعشرين دقيقة فرأى الواز تراقص زوجها فاخذته الشفقة على هذا الملاك (البائس)

وتوقف الأوركسترا عن العزف . وانتحت ربة الدار برفيقها ركنا قصيا ، وجلسا حول احدى الموائد ، بينما تفرق المدعوون يحتسون اقداح المرطبات .

وفجأة . وقعت عينا بونار على باسيل فالنتين ، وكان يقف على انفراد ، وما كاد بصراهما يلتقيان حتى تبين بونار مدى البغض والحقد

الذى يمكنه له غريمه الجديد.

ولم يتمالك من الابتسام . ذلك أنه رآه متماسكا رباطة جأشه ، لا تبدو عليه آثار المعركة الحامية ، أو اللطمة القاسية التى اصابته .

ورمقه فالنتين بنظرة إحتقارهم ثم إختلط بالمدعوين . وغاب عن أنظار بونار بضع دقائق ولكن ما كاد يراه مرة اخرى ، حتى اجفل ذلك انه رآه ينظر إلى الواز هامبدن نظرة ذات مغزى ، فأصفر وجه الفتاة . ولكنها إضطرت ان تومىء اليه براسها وفى التو إنسحب فالنتين من المرقص إلى غرفة جانبية . وما لبثت الواز لحقت به اليها ولم يجذب انسحابهما الأنظار نظراً لتباعد الوقت على إنصرافهما .

وبعد هنيهة ، إنسحب بونار ايضا وبكثير من الحذر إستطاع ان يتوارى خلف ستار فى الغرفة التى إجتمع فيها فالنتين بالواز

وسمع صوت فالنتين وهو يقول بخشونة وغضب :

— ما معنى هذه المكيدة؟

فاجابته الواز بصوت هادىء متزن : اية مكيدة ؟

— لا تحاولي المراوغة يالواز فانى ضيق الصدر ، لا احتمل اللف والدوران . لقد إشتركت بونار معك فى هذه الدسيسة .

— اية دسيسة يا هذا ؟

فصاح فالنتين من بين اسنانه : اوه ! لقد دبرتما كل شيء فيما بينكما فتحرش بي بونار ثم صرعني بلطمة من قبضته واستولى على وثيقة الرهن من اوراقي وانا غائب عن الرشد . فلا تحاولي الانكار .

وساد الصمت بينهما لحظة . وسمع بونار الواز وهى تشهق دلالة على الدهشة الشديدة.

وهمست : هل فعل بونار هذا ؟

ثم ضحكت ضحكة عصبية قصيرة . واردفت : انه لم يحدثنى بما فعل

— أنت كاذبة

— اقسم لك انه ..

— لن أصدقك حتى ولو اقسمت أيتها البلهاء . ظننت ان بونار كان يتلهف على العراك الليلة ، ولكنى لم افهم السر إلا بعد فوات الأوان إننى لم أفقد رشدى طويلا فقط دقائق معدودات . وعندما عدت الى وعيى . بدأت اتساءل عن سر هذه المعركة وخطر لى ان افحص حافظة اوراقى . وعندئذ تبينت ان وثيقة الرهن قد تبخرت .

فبدا الجزع على وجه بونار وهو فى مخبئه . وكان يرجو الا يكتشف فالنتين ضياع الوثيقة بمثل هذه السرعة .

واستطرد فالنتين : ولذا فانت تكذبين ، لقد وضعت بونار فى اثرى ، وهو من هؤلاء الحمقى المصابين بحب الظهور ويحاولون التظاهر امام الفتيات بأنهم فرسان مغاوير لكن هل تظنين انك ربحت ؟ لنفرض اننى طلبت إلى عمتك ان تتفقد خواتمها وعقدها اللؤلؤى الذى رهنته ، او لنفرض اننى انتحيت بزوجك ناحية منعزلة وكاشفته بحقيقة زوجته ، فماذا يكون موقفك ؟

فقالت الواز برباطة جأش : لن يصدقك .

فضحك فالنتين ضحكة تنم عن التشفى ، والغضب ، وصاح :

ـ احقا ! ولكن لن يعجزنى ان ادلل على صحة إتهامى بالادلة المادية . كنت قد قررت لك اننى إذا لم احصل على ستة آلاف من الجنيهات الى مساء الغد فسأكون فى حل من سلوك اى مسلك ينقذنى ولكنى مضطر الآن الى تعديل الاتفاق ، فاما أن تعطينى المبلغ قبل إنتهاء حفلة الليلة او ..

فهتفت الفتاة فى جزع: أتريد ستة آلاف من الجنيهات الليلة ؟

ـ أنا لا اصر على ان يكون المبلغ نقدا ويكفى ان تقدمى الى مايعادله لأستطيع غدا الحصول على المبلغ الذى يعوزنى .

وازاح بونار الستار جانبا قليلا ، ونظر الى المتحادثين ، فقرأ فى عينى فالنتين ابلغ معانى البرود والغضب ، بينما راحت الواز تحدق فى وجهه مشدوهة محيرة .

واخيرا صاحت : لكن هذا ، مستحيل !

فقال فالنتين بلهجة ساخرة : هذا شىء يؤسف له كثيراً ، واننى الواقع شديد الألم لموقفك السىء ، إذ ساضطر الى مكاشفة عمتك وزوجك بالحقيقة المرة ، انى واثق ان فى إستطاعتك توفير المبلغ إذا شئت ، فقد فعلت ذلك من قبل ولن يتعذر عليك ان تفعليه مرة اخرى.

فرفعت اليه عينين تفيضا بالضراعة ، وهتفت : هل غاضت الرحمة من قلبك ؟

فضحك فالنتين ضحكة وحشية ، وأجاب : نعم للاسف .

ونظر حوله فاستقرت عيناه على إناء من الزجاج السميك واستطرد:

ـ سأعود الى هذه الغرفة بعد ساعة ، فاذا لم اجد جواهر تقدر قيمتها بمبلغ ستة آلاف من الجنيهات تحت هذا الوعاء او فى جوفه . إنطلقت من فورى إلى زوجك وعمتك وأفضيت اليهما بما لدى . فخير لك أن تبادرى بالعمل يا سيدتى ، لأن الوقت يمر بسرعة .

وجمت الفتاة فى مكانها هنيهة . ثم نظرت الى الوعاء الزجاجى . وأخيراً صاحت :

ـ انك وحش قاس !

ثم استدارت على عقبيها . وهرولت خارجة من الغرفة .

وبعد بضع دقائق انفجر فالنتين ضاحكا . وغادر الغرفة بدوره .

(٠)

اطفئت الأنوار بغتة . فساد الصمت . وكفت الموسيقى عن العزف ! وفى التو مزقت السكون صرخة مروعة ، أعقبها لغط شديد .

وصاحت إحدى السيدات : عقدى !

وعلى اثر ذلك ساد الهرج والمرج . وانطلقت الأفواه معربة عن الدهشة والتساؤل .

وللمرة الثانية صرخت مسز نيكولسون بفزع :

ـ عقدى ! لقد سرق !

وصاح صائح يأمر الخدم باصلاح النور . وركض بعض المدعوين هنا وهناك .

وفى وسط هذه الفوضى الشاملة سمع الجميع صوتاً عميقاً آمراً :

ـ لاتتحركوا ، وحذار أن يغادر احدكم الغرفة .

وكان لهذا الأمر الصارم تأثيره المباشر ، فلزم الجميع أماكنهم وكفوا عن الصخب ووقفوا واجمين كأن على رؤوسهم الطير .

وإن هى إلا هنيهة حتى اضيئت الأنوار ، فكشفت عن وجوه مصفره تعلوها علامات الدهشة والذهول .

وتقدم رجل بدين ، احمر الوجه من مسز نيكولسون ، فهمس احد الحاضرين :

ـ إنه المفتش بيشو .

وقال بيشوا مستفسراً : ماذا حدث ؟

ولم تستطع مسز نيكولسون ان تفوه باكثر من هذه الكلمة : عقدى !

ـ من كان يصحبتك عندما وقع الحادث ؟

ـ لا . لااعلم ، كنت ارقص مع الكولونيل جريفس ، وانطفأت الأنوار فجأة فافترقنا ، وشعرت بيد تلمس عنقى ، وعندما رفعت يدى لأدافع عن نفسى ، لم اجد العقد !

فراح بيشو يقلب بصره الحاد بين المدعوين ، وكان يخيل انه يبحث عن شخص معين ووقعت عيناه علي فتاة كان لون وجهها يحاكي وجوه الأموات ، فقطب حاجبيه قليلا وحول نظرته فى اتجاه آخر ، فاستقرت على وجه شاب انيق ، يزين شفته العليا شارب صغير ، وتتألق عيناه ببريق ساخر يدل على الظفر .

وهز المفتش بيشو كتفيه ، واستأنف ملاحظة باقى المدعوين .

ومالبث أن رأى شابا يقف على مقربة من أحد الأبواب ، فعض على ناجذيه وارتسمت فى عينيه نظرة تنم عن الارتياح .

وقال لربة البيت بلهجة تشف عن اليقين .

ـ لاتجزعى ياسيدتى ، لن تنقضي دقائق حتى يعود اليك عقدك . فى استطاعة ضيوفك أن يذهبوا إلي منازلهم ان شاءوا ، فيما عدا شخصاً واحداً سيبقى للتحقيق ، وإنى مطمئن إلى عدم انصرافه من تلقاء نفسه

ثم غادر الغرفة ومر من الباب الذى كان بونار واقفاعنده من لحظة ولكنه إختفى فجأة كأنما إبتلعته الأرض .

وفى التو ، إستعادت مسز نيكولسون رباطة جأشها ، وتذكرت واجبها كمضيفة ، وان هى إلا هنيهة حتى إستأنف الأوركسترا العزف ، وتخاصر المدعوون والمدعوات ، وبدأوا يرقصون .

كان المفتش بيشو يحمل فى يده بطاقة ، رآها عند قدمى مسز نيكولسون ، واستطاع أن يلتقطها خلسةدون أن يفطن إليه أحد ، وكانت هذه البطاقة مألوفة لديه ، لأنها بطاقة أرسين لوبين بعينها ، وفيها قرأ تلك الكلمات الخالدة :

« أرجو أن تغتفرلى دعابتى ، ألخ « أرسين لوبين »

فضحك بيشو على الرغم منه ، وحسب أن الحظ قدواتاه هذه الليلة وأنه لن يلبث أن يحقق أعظم أمنية فى حياته .

ولمح بونار وهو يتسلل إلى غرفة المكتبة ، فألقى نظرة أخرى على

البطاقة وما لبث أن أجفل قليلا ، ذلك أنه قرأ العبارة التالية مكتوبة بالقلم الرصاص فى ذيل البطاقة :

« إنى على استعداد لأن اعيد إليك الخواتم الخمسة والعقد الذى سرقته منك منذ اسبوعين بنفس الشروط المدونة فى هذه البطاقة: »

وتوقف بيشو عن السير لحظة ، ووضع البطاقة فى جيبه ، وهرع إلى غرفة المكتبة ، ولم يكد يدخلها حتى رأى بونار يغادرها من باب آخر ينتهى إلى دهليز يؤدى إلى غرفة جانبية .

ورآه بيشو ، وهو يزيح ستارا مسدلا على باب الغرفة ، فصاح به بلهجة آمرة :

ـ إنتظر يابونار .

فتحول اليه الشاب ، وهتف : ماهذا يابيشو ؟ لماذاجئت هنا الليلة؟

ـ اظنك تعرف السبب كما اعرفه ، إياك والاعيبك الشيطانية ،فقد ظفرت بلوبين ومن العبث ان تفكر فى الافلات ، إننى ظفرت بارسين لوبين اخيراً .

فشهق بونار ، وقال :

ـ ياللسماء ! ماهذا الهذيان ؟ . تقول انك ظفرت بارسين لوبين ؟. اين هو إذن ؟

ـ إني اراه امامى فى تلك اللحظة !

ـ هل تهذى يابيشو ؟ حقيق عليك ان تستشير احد الأطباء !

ـ اؤكد لك اننى لاأهزل يابونار ، فابسط ذراعيك .

ـ ابسط ذراعى ، هل تتكرم بإيضاح ماتعنى بلغة مفهومة ؟

ـ كلا ، اريد منك ان تعطينى العقد الذى سرقته من مسز نيكولسون

ـ اؤكد لك انه ليس معى .

كان بيشو قد بدأ يضيق ذرعا باجابات بونار الملتوية ، فقال له بحدة

ـ يخيل إلى انك لم تعمل بنصحى ، قلت لك دع المراوغة يابونار . لقد عثرت على بطاقة ارسين لوبين عند قدمى نيكولسون وفى ذيلها حاشية عن خمسة خواتم وعقد سرقها لوبين منذ اسبوعين ، وانا الآن اريد العقد الثانى الذى إختفى الليلة

فهز بونار رأسه سلبا واجاب :

ـ إذا كانت لديك ادلة على ان ارسين لوبين سرق عقد مسز نيكولسون ، فانى انصحك بالبحث عن ارسين لوبين ، واتمنى لك حظا سعيداً موفقاً .

ثم تحول عن بيشو ، وتهيأ للانصراف ، فزمجر المفتش قائلا :

ـ قف مكانك !

ثم اخرج مسدسه ، ولوح به فى وجه بونار ، وقال : ارفع يديك فوق رأسك .

فقال بونار ممتثلا : حسنا جدا.. من الحكمة دائما إرضاء المجانين. لكن أرجوك أن تسرع .

فراح بيشو يفتش بونار تفتيشا دقيقا بيده الطليقة . وأخيرا تأوه متضجرا . فقال بونار مواسيا :

عما يؤسف له أن تبوء بالخذلان يا بيشو . لقد أضعت وقتا ثمينا كان فى استطاعتك أن تستخدمه فى البحث عن أرسين لوبين . وما الآن . فربما يكون قد أفلت من براثنك .

فحدد بيشو النظر إلى وجه بونار متحديا . وهتف :

— وهل هناك غير ارسين لوبين واحد . تفضل امدد يدك . انك استطعت ان تخفى العقد فى مكان ما قبل ان تأتى إلى هنا .

فأومأ بونار برأسه . وقال . هذه اول فكرة صائبة صدرت عنك منذ زمن طويل يا بيشو . لو انى سرقت العقد لكان من الجهل الفاضح ان احتفظ به معى . ولا ولأخفيته فى مكان ما حتى ينتهى التفتيش والبحث . ومن المحتمل ان يكون هذا هو ما صنعه ارسين لوبين فلو انى كنت فى مركزك لا لقيت نظرة فيما حولى . ربما استطيع ان اساعدك قليلا .

— بل انا واثق من انك تستطيع المساعدة هلم بنا .

فلمس بونار كتف المفتش واشار إليه ان يلزم الصمت . همس قائلا:

— ان احدهم قادم . تعال معى .

فرمقه بيشو بنظرة تنطوى على الريبة ، ولكنه لم يقاومه عندما جذبه إلى مؤخرة الغرفة وحما وقع اقدام تقترب . وزاح بونار الستار قليلا ، واشار إلى بيشو ان يتسلل خلفه . وتبعه إلى غرفة صغيرة للمعاطف . وانتظرا .

وهمس بيشو :

— ماذا تبغى من ذلك ؟

فأجاب بونار هامسا بدوره :

إنها مجرد تجربة قد لا تنجلي عن شيء ذى بال ، او عن شيء على جانب عظيم من الأهمية . إننى متلهف على معرفة السبب الذى يحدو بشخص على الحضور إلى هذا الجزء من المنزل . فى هذا الوقت بالذات .

وفى تلك اللحظة .. فتح باب الغرفة الخارجية .. ودخل منه فالنتين ، وكان يدخن لفافة تبغ وترتسم على وجهه دلائل الاغتباط والارتياح .

همس بونار فى اذن بيشو :

— انظر ! إنه باسيل فالنتين . ترى ما الذى جاء به إلى هنا ؟

وتلفت فالنتين حوله بغير اكتراث . ونفث الدخان من فمه .. ثم فتل شاربه .. ونظر إلى الاناء الزجاجى الموضوع فوق منضدة فى أحد أركان الغرفة نظرة تلهف . وتردد قليلا . ولكنه ما لبث أن تقدم منه . ورفعه فى يده . ثم قلبه . وعندئذ سقط فى يده شيء ما ان تعرض اضواء المصباح ، حتى انبعث منه شعاع يخطف الأبصار .

ووضع فالنتين لقيته فى جيبه ، وانتفض بيشو بشدة . فهمس بونار

— انظر ! .

وللمرة الثانية ، أدار فالنتين بصره حوله . ثم بدأ يصفر لحنا شائعا . وتهيأ لمغادرة الغرفة . فهم بيشو بملاحقته ولكن بونار قبض على

ذراعه . وقال :

— لم يحن الوقت بعد !

وغادر فالنتين الغرفة . فأزاح بونار الستار جانبا . وأشار إلى المفتش بالخروج من المخبأ . فنظر إليه بيشو نظرة تدل على الحيرة الشديدة . وصاح :

— هل رأيته ؟! انه العقد ؟

فأومأ بونار برأسه . وارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة ساخرة. وقال متسائلا :

— شد ما أعجب كيف عرف ان العقد موجود فى الاناء ؟

فقال بيشو:

— يخيل إلى .. يخيل إلى ..

فضحك بونار وهتف :

— نعم . أنه لكذلك . والآن دعنا نرى ماذا سيصنع فالنتين بالعقد بعد ان استولى عليه .

وعاد إلى المرقص وكان الزائرون قد بدأوا فى الانصراف . بينما التف بعضهم حول مسز نيكولسون يعربون لها عن استنكارهم لما حدث .

ورأى بونار الواز هامبدن تقف بمعزل عن الباقين . وقد ارتسمت على وجهها الجميل الممتقع دلائل الاضطراب والجزع الشديد .

وتقدم فالنتين من مسز نيكولسون ، ورفع اناملها إلى شفتيه

مودعا وغمغم :

— شكرا لك على هذه السهرة الرائعة . إنى جد آسف لفقد العقد ولكنى برغم ذلك — واثق من انك ستستعيدينه : فاذا كنت تعتقدين ان فى استطاعتى ان اصنع شيئا .

وفى التو ، تقدم المفتش بيشو منه . وقال بحدة :

— لا شك ان فى استطاعتك ان تصنع كل شيء ..

فأجفل فالنتين . ونظر إلى بيشو باضطراب شديد . ثم قال :

— ماذا تعنى يا سيدى ؟ .

فقال بيشو بسخرية لاذعة :

— إذن دعنى اشرح لك الحقيقة . لقد سألت مسز نيكولسون عما إذا كان فى استطاعتك ان تصنع شيئا . وإنى اؤكد لك انه فى ميسورك ان تخرج العقد من جيبك وتعيده إلى صاحبته .

فجمد فالنتين فى مكانه كالتمثال . واصفر لونه . ورفع عينيه إلى إلى الواز هامبدن ورماها بنظرة تنطوى على الحقد الشديد . ثم قال بحدة :

— إذن ففى الأمر خدعة .

وفى التو وضع المفتش بيشو يده فى جيب فالنتين ، واخرج منه العقد . فصاح الحاضرون معربين عن فرط دهشتهم . بينما بدرت من شفتى مسز نيكولسون صيحة تدل على الجذل .. واختطفت العقد الثمين من يد بيشو .

وقال فالنتين : عندى ما اقوله ..

كان صوته اجش . وكانت نظراته إلى الواز كنظرة البومة .

واستطرد سوف تدهشون عندما اقول .

ولكن بيشو لم يدعه يتم قوله . إذ قاطعه قائلا .

ـــ قل ما تريد للمحقق . لقد رأيتك وأنت تأخذ العقد من الاناء الزجاجي يامستر فالنتين . ولسوف تجد انه من واجبك ان تذكر للمحقق كيف وصل العقد إلى الاناء وكيف عرفت انه موجود بداخله واخيرا ، لماذا لم تمده الى مسز نيكولسون عندما عثرت عليه إذا كنت حقاً بريئا والان هلم معي .

فشد فالنتين قامته كأنما لينفض عنه البلادة التى إعترته من هول الصدمة ، وهم بالكلام مرة أخرى ، ولكن الكلمات إحتبست فى حلقة ، ـ القى نظرة أخرى على الواز ، نظرة طافحة بالغضب والوحدة ثم تبع بيشو صاغرا

وخيم الصمت على الموجودين عقب إنصراف بجينه .

وتسلل بونار إلى حيث كانت تقف الواز هامبدن . وهمس اليك تهانئى

فتحولت اليه ورمقته بنظرة تنطوى على الشكر . ثم قالت

ـ الحق انى لا أفهم شيئا مما حدث

ـ ولا تحاولى أن تفهمى ، أتركى كل شىء لبيشو

فأطالت النظر الى وجهه ، وما لبثت أن تبدت فى عينيها نظرة شك

رواية العدد القادم

لوبين فى قاع البحر

أعجب مغامرات اللص الظريف

ارسين لوبين

تأليف الكاتب الفرنسى الكبير

موريس لبلان

« الثمن ٣٠ مليما فقط »

احجز نسختك من الآن

وقالت :

ـ إذا كان مستر فالنتين هو أرسين لوبين ..

فقاطعها بونار :

ـ شد ما يؤلمني أن أفكر في ذلك ، انني طالما أعجبت بذلك اللص الجرىء . بيد أنه لو صح أن فالنتين هو أرسين لوبين لأصبت بصدمة شديدة وانهار اعجابي .

فقالت بلهجة رصينة :

ـ بالعجب ، ان هم ـ ؤالا يتحير على شفتي ، وفكرة تزعجني يادكتور بونار .

فقال هذا ناصحا :

ـ إذن تخلصي منها ، اليك وثيقة الرهن ، وغدا صباحا سنذهب إلى حانوت شابيرو المرابي ، وأظن أننا سنتمكن من استرداد الجواهر المسروقة .

فقالت باسمة :

ـ حسنا ، يخيل إلى أنك قدير على كل شيء ، وعلى ترويض الأشخاص أيضاً ياسيو أرسين لوبين ، أوه .. لاتجزع فان سرك عندي بمأمن .

« تمت »

دار الفكر للطباعة والنشر والاعلان